الإسراء

هدية

مجلة إسلامية شاملة

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:1)

العدد 168

ربيع الأول / ربيع الثاني 1445هـ تشرين الأول / تشرين الثاني 2023م

المشرف العـــام

الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحـريـر

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله

تصميم ومونتاج

يوسف تيسير محمود

هيئة التحـريـر

أ. د. جمال أحمد زيد الكيلاني

أ. د. حسن عبد الرحمن السلوادي

د. صبحي محمد عبيد

د. لؤي عزمي غزاوي

أ. محمد خليل جاد الله

المراسلات: مجلة الإسراء

الإدارة العامة للعلاقات العامة والإعلام، دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب: 20517 - القدس / ص.ب: 1862 رام الله - تلفاكس: 6262495 ـ 02 / 2348603 ـ 02

موقعنا على الإنترنت: www.darifta.ps للمراسلة على البريد الإلكتروني: israa@darifta.ps

ملحوظة: ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب

القدس عاصمة فلسطين الأبدية

فهرس العدد

افتتاحية العدد

استثمار الخير في التعليم المدرسي والجامعي	الشيخ محمد أحمد حسين	4

كلمة العدد

العناية الإلهية أحاطت بالنبي، صلى الله عليه وسلم قبل مولده وبعده	الشيخ إبراهيم خليل عوض الله	17

ملف العدد

قراءة في أدلة القائلين بمشروعية الاحتفاء بمولد النبي صلى الله عليه وسلم	الشيخ د. أحمد خالد شوباش	29
ذكرى المولد النبوي هداية للناس، ودعوة لنبذ الباطل	أ. شريف مفارجة	34
شعر المديح النّبويّ	أ. يوسف عدوي	37
وأَشرَقت الأرضُ بنورِ النُّبوَّةِ مِنْ جَدِيد	الشيخ عمار بدوي	48
قصيدة - أحمد النور	أ. زهدي حنتولي	53

فهرس العدد

زاوية الفتاوى

أنت تسأل والمفتي يجيب	الشيخ محمد حسين / المفتي العام للقدس والديـــــار الفلـسـطينية	54

مسائل فقهية

التورق المصرفي المنظم	أ. د. جمال زيد الكيلاني	62
الإعسار بالنفقة	أ. روان عمر شيخ	67

مزايا إدارية

التميز التنظيمي مسعى لكل المؤسسات الفاعلة	أ. محمد جاد الله	77

أدبيات

وصية أعرابية	أ. كمال بواطنة	85
مضرب الأمثال	أ. هالة عقل	91
اقرأ وتذكر	أ. إيمان تايه	96

نشاطات ... ومسابقات

باقة من نشاطات مكتب المفتي العـــام ودوائر الإفتـــاء الفلسطينية في محافظات الوطن	أ. مصطفى أعرج	99
مسابقة العدد 168	أسرة التحرير	110
إجابة مسابقة العدد 166	أسرة التحرير	111

افتتاحية العدد

استثمار الخير

في التعليم المدرسي والجامعي

الشيخ محمد حسين/ المشرف العام

مع افتتاح العام الدراسي الجديد، يتوجه الطلبة إلى مقاعد الدراسة المدرسية والجامعية، كل حسب المستوى الدراسي الملائم له، وفي الجامعة حسب التخصص الذي اختاره، وبهذه المناسبة يحسن الوقوف عند بعض المحاور ذات الصلة، وذلك على النحو الآتي:

أهمية العلم ومكانته والحاجة إليه:

للعلم مكانة رفيعة وآثار حميدة، يلمسها الناس في حياتهم ومعيشتهم وتطورهم وتحقيق قوتهم ومنعتهم، ولم يغفل الإسلام عن مكانة العلم وأهميته، فأول لفظ نزل به الوحي جبريل على النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، يتعلق تعلقاً مباشراً بطلب العلم وأدواته، فبدأت سورة العلق بلفظ (اقرأ)، وتكرر الأمر بالقراءة في الآية الثالثة منها، مع ذكر أداة رئيسة من أدوات التعلم والتعليم (القلم) علم بالقلم، فقال تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}(العلق: 1 - 5)

وأشاد الله تعالى بالعلماء ومَيَّزهم عمن سواهم، فقال عز وجل: {... يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ

آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (المجادلة:11)

ويستحيل أن يغيب احترام العلم، وتقدير العلماء عن أي عاقل منصف، سواء أكان فرداً أم مجتمعاً، فالناس ينتفعون بالنتاج العلمي في حياتهم جميعها، سواء ما تعلق منه بالأدوات والوسائل، أم بالأفكار والأساليب، فلولا العلم ما كانت الإنارة بالكهرباء، ولا السفر بالطائرات، ولا التواصل بالهواتف، ولا العلاج بالجراحة والمضادات، وما إلى ذلك كثير مما يجده الناس من بصمات العلم الواضحة في حياتهم كلها، وعلى صعيد الثقافة والتربية والعقائد والنجاة من الظلمات إلى النور، ففي العلم بناء وفي الجهل هدم وهذا ما عبَّر عنه الشاعر حين قال:

العلم يبني بيوتاً لا عماد لها والجهل يهدم بيت العز والكرم

والعلماء ورثة الأنبياء، وَرَّثُوا الْعِلْمَ، من أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ الله له طَرِيقًا إلى الْجَنَّةِ، وقال جَلَّ ذِكْرُهُ: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}(فاطر: 28)، وقال: {وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}(العنكبوت: 43) {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ}(الملك: 10)، وقال: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ}(الزمر: 9) وقال النبي، صلى الله عليه وسلم، (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ)[1]، وقال ابن عَبَّاسٍ: "كُونُوا رَبَّانِيِّينَ حُلَمَاءَ فُقَهَاءَ"، وَيُقَالُ: الرَّبَّانِيُّ الذي يُرَبِّي الناس بِصِغَارِ الْعِلْمِ قبل كِبَارِهِ.[2]

1. صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل.
2. المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح: 1 /212.

والعلم قوة من تسلح به فاز، ومن تجاهله فشل وخاب، فكيف في عالم التقنيات يمكن للجاهلين أن يتفوقوا على المبدعين بها، فالعلم بها وبما شابهها قوة، جدير بالمسلمين أن يأخذوا بها، استجابة لأمر الله لهم بإعداد العدة التي تُستطاع، حيث قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ...}(الأنفال:60)

ومن معززات الاهتمام بالعلم أنه من الآثار التي ينتفع بها أصحابها بعد مماتهم، فالإنسان لا محالة ميت، والعاقل من يدخر لآخرته وعُقباه، حيث لا ينفع مال ولا بنون، ويبقى مداد العلم ينمو لصاحبه مع أمور محدودة بعد وفاته، كما جاء في الحديث الصحيح، عن أبي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)(*)

أنواع العلوم وحكم تعلمها:

يخطئ من يتجاهل العلوم الشرعية، ويخطئ كذلك من يظن أن العلم المطلوب يخصها فحسب، وطلب العلوم النافعة حسب حكم تعلمها، ينقسم إلى:

فرض عين: فهناك علوم يكون تعلمها فرض عين على كل مسلم ومسلمة، وهي المتعلقة بفروض الأعيان، كالعلم بتوحيد الله، ونبوة الرسول محمد، صلى الله عليه وسلم، ووجوب العمل بما جاء به عن ربه، وأن الإسلام خاتم الأديان، وتعلم الغسل والوضوء والصلاة، ونحو ذلك.

فرض كفاية: هناك علوم إن تعلمها أناس يكفوا بها حاجة الدين والخَلق، ويكون

* صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

تعلمها فرض كفاية، ويسقط بتحقق الكفاية الفرض عن الآخرين، وإن حدث قصور في تعلمها، ولم تتحقق الكفاية، يأثم المسلمون جميعاً؛ لأنهم لم يقوموا بالمطلوب، كتعلم الطب، والصيدلة، والاقتصاد، واللغات اللازم تعلمها لمصلحة الإسلام والمسلمين، وكالتخصص في كثير من العلوم النافعة، فلا يطلب تعلم الاقتصاد والتبحر في التفسير والفقه من كل مسلم، بل يكون ذلك فرضاً على سبيل الكفاية، إن قامت به المجموعة الكافية التي تسد الحاجة يحصل المقصود، ويسقط الفرض عن الآخرين.

سنة: تعلم العلوم النافعة التي تحقق المطلوب للفرض منها، فإن طلبها بعد ذلك على سبيل رفد مجموعة الفرض، يكون سنة.

مستحب: التخصص بالمهن، والحرف، والتبحر في العلوم النافعة التي يحتاجها الناس لتحسين حياتهم، لكنهم يمكن أن يستغنوا عنها، يكون مستحباً.

مذموم: حين تطلب العلوم للرياء والشهرة، أو المظاهر والتباهي والتعالي على الخلق، يكون طلبها مذموماً، أو على الأقل غير مأجور، فالتعلم يلزمه الإخلاص لله، وشتان بين العلم الذي يطلب لله ووفق منهاجه سبحانه، وبين الذي يطلب لغير هذه الغاية السامية، وغير هذا المنهج، وقد تضافرت الأدلة الشرعية على بيان فضل العلم وأهميته والحث عليه، وكثير من الأدلة والشواهد ذكرت العلم مطلقاً دون حصر ولا تحديد، كقوله صلى الله عليه وسلم: (وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ)[*]

* صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

فذكر العلم في هذا الحديث نكرة غير معرف، فهو بهذا يشمل أي علم نافع، فدربُ طلب العلم يؤدي في المحصلة إلى نيل مرضاة الله ومثوبته وجنته، وقد خُص التعليم الشرعي بالرعاية والاهتمام، وفي نص هذا الحديث نفسه جاء التخصيص الواضح للمثوبة والجزاء على تدارس العلم الشرعي والقرآني، فقال عليه الصلاة والسلام: (وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)(*)

يفهم من هذا أن لطلب العلم الشرعي ومدارسته ثواباً، وكذلك لطلب العلوم النافعة الأخرى مثوبة، ولا تضارب بين الأمرين، فالإسلام يريد للناس أن يعيشوا بهدى الله ووفق شرعه، وفي الوقت نفسه يريدهم أن يعيشوا في دنياهم بما يسهل حياتهم، ويحقق النفع والخير لهم، وبما يرقى بحالهم، فالحكمة ضالة المؤمن، وعلماء المسلمين في العصور الزاهرة ضربوا أعظم الأمثلة في الاهتمام بعلوم الشريعة والدين وعلوم الحياة والدنيا، فكان منهم المفسر للقرآن، والعالم بالطب، ومنهم الفقيه، والعالم بالفلك، وهكذا دواليك، فكانوا أعلاماً في تخصصاتهم، وفي الإرث العلمي والثقافي والديني، الذي تركوه للأجيال من بعدهم، رحمهم الله، وجزاهم خير الجزاء وأوفاه.

* صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

تعليم الذكور والإناث:

التشجيع على تعلم العلوم النافعة، لا يختص بجنس من الناس دون سواه، فيشمل الذكور والإناث، وهذه مسألة جديرة بالتركيز والبيان والتنبيه، إذ إن بعض الناس يظنون أن التعليم مطلوب للذكور وتطورهم، ولا يلزم للإناث، وتلك قسمة ضيزى، ما أنزل الله بها من سلطان، بل إن تعلم الإناث بعض العلم يلزم ديناً ودنيا، كتعلمهن الطب لمعالجة النساء، وطب الأطفال، والمواد اللازم تعليمها في مدارس الإناث، والتدبير المنزلي، وتعلم علوم فروض العين والكفاية، والإحجام عن تعليم البنت يضر في مستوى توعية الأبناء ذكوراً وإناثاً، ورسول الله، صلى الله عليه وسلم، أوكل إلى المرأة مسؤوليةَ الرعاية البيتية كما أوكل للرجل، فعن عَبْدِ اللَّهِ بن عُمَرَ قال: سمعت رَسُولَ اللَه، صلى الله عليه وسلم: يقول (كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» قَالَ:-وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ- وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)[*]

والرسول، عليه الصلاة والسلام، استجاب لمطلب النساء، وخصص لهن لقاء تعليمياً، كما ثبت في الحديث الصحيح عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: (قالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ

* صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن.

يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَتَيْنِ؟ فَقَالَ: وَاثْنَتَيْنِ)[*] نعم لقيهن ليعلمهن، وتخلل اللقاء نقاش دار بينه وبينهن، كما يدور في مجالس العلم ولقاءاته النافعة، فكيف يُقبل بعد هذا إقصاء النساء عن التعلُّمِ والتعليم، والمشاركة المنضبطة في أمور الحياة العامة والخاصة؟!!!

وتعليم البنت، وبذل المال لأجله ليس خسارة، كما يحلو لبعض الناس أن يقولوا، ممن يعتقدون أن البنت مصيرها أن تتزوج، وتذهب إلى عائلة أخرى، وتنشغل في تربية أولادها ورعاية بيتها، والحقيقة أن لا تضارب بين دور المرأة المحترم والشرعي في بيتها، وبين تعليمها، فالزوجة والأم الواعية والمثقفة أقدر على القيام بدورها البيتي والمجتمعي بكفاءة أفضل، وإنتاج أحسن، إضافة إلى أن التعلم، وبخاصة للراغبين فيه من الذكور والإناث، يخدم جوانب نفسية ووجودية للمرء نفسه، يعرف قدرها أكثر من حُرِمهُ ظلماً.

العناية بالبيئة التعليمية، وتيسير سبل التعلم لطالبيه:

تحول عوائق خارجة عن الإرادة دون تحقيق رغبات طالبي العلم وأمنياتهم في الالتحاق بمؤسسات التعليم، ومن أبرز هذه المعوقات ضيق ذات اليد، والعجز المالي، فكلفة التعليم، وبخاصة الجامعي منه باهظة، فعدا عن الرسوم ومتطلبات التعلم ونفقاته الأخرى، فإن طالب العلم يبقى غير محصل للمال، وبعض الأسر

* صحيح البخاري، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم؟

تحتاج إلى من يعيلها، فَتُخْرج الطالب من المدرسة ليعمل ويأتي بالمال، وتعجز بعض العائلات عن تلبية احتياجات ابنهم المادية ليكمل دراسته، وبعض الأسر تفقد معيلها الرئيس لسبب ما، فيضطر أحد أبنائها للذهاب إلى سوق العمل، ليأتي بما ييسره الله من المال، ليعيل أهله بالنيابة، حتى إن بعض الطلبة يتخرجون من جامعاتهم بنجاح، ويتأخر تسليمهم شهاداتهم، بسبب الديون المتبقية عليهم للجامعة، وفي هذه الأحوال، تلزم النخوة والمساعدة المجزية، لإنقاذ طالب العلم الفقير والمحتاج، مع حفظ كرامته، وماء وجهه، ووجوه ذويه، فهو وإياهم مكروبون، والرسول، صلى الله عليه وسلم، وعد مُنفِّسَ الكرب بجزاء من جنسه، ولكن في الآخرة، فقال: (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)(*)

فالأمر يحتاج إلى بذل المال بسخاء لطلبة العلم الذين يكونون في أمس الحاجة إليه، والله لا يضيع أجر من يحسن العمل، ويضاعف حسنات المنفقين في سبل الخير أضعافاً مضاعفة، وهو القائل سبحانه: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}(البقرة:261)

وبذل المال للتعليم لا يقتصر على مساعدة الطالب المحتاج، وإنما يشمل كذلك بذله في سبيل توفير البيئة التعليمية المناسبة للتعليم، كبناء الصفوف المدرسية،

* صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

وبخاصة عند الحاجة الماسة إليها، وتوفير أدوات التعليم ولوازمه ووسائله، كالحواسيب والقرطاسية، والمختبرات ومشارب المياه، وتشجيع الأبحاث العلمية، وتوفير الملاعب الرياضية للتلاميذ، وغير ذلك من اللوازم التعليمية والصحية والنفسية التي تلزم التربية والتعليم، إضافة إلى لزوم العناية بالمعلم، والاهتمام بحاجاته ومعيشته الكريمة وعياله، حتى يكون منتجاً للتربية والتعليم بإخلاص ونجاح وإبداع، وينبغي أن لا ينسى بحال أن المعلم على يديه يتخرج الساسة والقضاة والأطباء والمهندسون وغيرهم من عناصر الشرائح والفئات، فينبغي أن تكون له رعاية مميزة، واحترام بالغ، وخسارة المعلم خسارة فادحة يتكبد بسببها المجتمع المصاعب الشاقة، وتتراجع بسببها العلوم، والرسول، صلى الله عليه وسلم، يقول: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)(*)

ويجدر هنا التنبيه إلى ضرورة أن تنبعث مشاريع استثمار الخير في التعليم من إخلاص لله، ليكون مثمراً ومجزياً وواسعاً، فالذي يبغي وجه الله يلبي النداء، وينفق مما لديه، ليقينه أن ماله لن ينقص من الصدقات، وأن الله يبارك له في ماله وعياله وعمره، ويدخر له جزاء وافراً في آخرته، لما قدم في سبيل الله من مال، والله تعالى يقول: {الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}(آل عمران: 134)، وفي الحديث القدسي الصحيح، يقول رسول الله،

* صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم.

صلى الله عليه وسلم: (قَالَ اللهُ: أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ)[1] وحين يؤمن المرء بهذه المعاني المباركة والسامية، يندفع للبذل كما كان يفعل السلف الصالح، الذين كانوا يتنافسون على البذل الأكثر، ففي حديث زيد بن أسلم عن أبيه قال: (سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا)[2]

وأثنى صلى الله عليه وسلم على الأشعريين، لتعاونهم المميز في البذل والعطاء عند الحاجة الماسة إليهما، فقال: (إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ)[3]

عرقلة الاحتلال للتعليم، واستهدافه الطلبة والمدارس والجامعات بالعدوان:

يعمل الاحتلال بأساليب شتى على استهداف العملية التعليمية الفلسطينية، فيقتحم المدارس والجامعات، ويعتدي على طلبتها، وهيئاتها التدريسية والإدارية

1. صحيح البخاري، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل.
2. سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب في الرخصة في ذلك، وحسنه الألباني.
3. صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض.

ومبانيها، فكم شهيداً من الطلبة ارتقى برصاص المحتل وهو يحمل كتبه، أو حقيبته، وكم من معتقل زج به في غياهب السجن من الطلبة والمدرسين، لمجرد تعبيره عن رأي يشجب فيه الاحتلال وينكره، وبالإضافة إلى ذلك فإن العدوان الصارخ مسلط الآن بوقاحة وصلافة ضد مدارس القدس بخاصة، بهدف أسرلة التعليم فيها، وخلق فجوة بين انتماء الطلبة والمدرسين، وبين المناهج التي تفرض عليهم من قبل المحتل، بهدف تكريس أركان الاحتلال، والتمكين له من غسل أدمغة الطلبة بفكر دخيل لا يؤمنون به، ويتناقض مع مبادئهم وقيمهم، ولأن السلطة الأمنية والسياسية بيد المحتل في القدس، فإنه يمارس شتى الوسائل والأساليب لفرض مناهجه، ومنع المناهج الفلسطينية من أن تُدرَّس، حتى إن الطالب الذي يحمل هُوية القدس والداخل الفلسطيني يُحرم من التوظيف أو توضع أمامه العراقيل الصعبة إن تخرج في إحدى الجامعات الفلسطينية، وفي الحرب المسعورة التي يشنها الاحتلال للضغط على أهل القدس وعرب الداخل الفلسطيني، صدرت قرارات بوقف تحويل الميزانيات المالية المستحقة للمجالس المحلية، وكان من بين آراء المعارضين لهذه الخطوة العنصرية، أنها تعرقل خطط الاحتلال لاكتساب ميول الطلبة العرب، وتعرقل الخطط لفرض الانفصام الثقافي عليهم، وتم التعبير عن مثل هذه المواقف بصورة وبأخرى، لكن من منطلق واحد، وبالمنطق نفسه.

وهذا الاستهداف للعملية التعليمية الفلسطينية، وبخاصة في المناطق الحساسة مثل القدس، يأتي ضمن حملة عنصرية استعمارية شاملة، تتضافر جوانبها، ومجالاتها، وأساليبها، ومحطاتها لتوطيد قدم المحتل، والسيطرة على الأدمغة العربية، والوجود العربي الفلسطيني في القدس، ومناطق التماس، وغيرها من البلدات والمواقع الفلسطينية.

الإصرار على التعلم والتعليم بالمناهج الأصيلة على الرغم من الصعاب والعراقيل الجمة:

إن التصدي لعدوان الاحتلال ضد التعليم وعناصره في القدس، وغيرها من أنحاء فلسطين المحتلة، إنما يكون بالعزيمة والإصرار على مواصلة التعليم والتعلم، وفق المناهج الأصيلة التي يتفق مضمونها ومحتواها ووسائلها وأنشطتها مع القيم العربية والإسلامية الطاهرة والنقية، دون رضوخ لأساليب الإغواء والبطش والإغراء، للتخلي عن منظومة المبادئ والقيم التي يؤمن بها السواد الأعظم من أبناء شعبنا، الذين يرفضون بموجبها القبول بالاحتلال والتطبيع معه، وبلغت التضحيات ما بلغت، أخذاً بالتحذير الرباني من الافتتان بمكائد الذين لا يريدون لنا ولا بنا خيراً، إذ الله تعالى يقول: {وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ...}(المائدة:49)

ويتلازم مع لزوم هذا الحذر لزوم حذر آخر، يتعلق بالذين يسارعون في مهادنة الأعداء افتتاناً بما لديهم، وطمعاً في تحقيق مصالح آنية لا يطول لها مقام على الأرض الفلسطينية الخصبة بالخير، والمباركة بدماء الشهداء، والله عز وجل حذر من نهج المسارعين في الضلالة، فقال تعالى: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ}(المائدة:52)

والله تعالى يُطمئن المخلصين بثبات جذورهم الأصلية النقية من التلوث بخبث الغاصبين ومكرهم وكيدهم، يطمئنهم الله برسوخ أقدامهم، فيقول سبحانه:

{...كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ}(الرعد:17)

والمشاهد على أرض الواقع والمعزز بالمبادئ والقيم، يدل على أن شعبنا يصر على أن يعلم أبناءه المبادئ السوية، والقيم النبيلة، شاء من شاء، وأبى من أبى، وإن المعركة التي يشنها الاحتلال على طلبتنا ومناهجنا ومدارسنا وجامعاتنا ستفشل الفشل الذريع، ما دام فينا الوعي، ولدينا الحذر، وعندنا العزم والإصرار على أن لا نركع إلا لله، وأن نفضل الموت على الدنية، مع اليقين بالنصر القادم لا محالة، وجل شأنه يقول: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ * وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ} (الصافات:171 - 175).

خاتمة:

التعليم أحد أعمدة وجودنا الراسخة والقوية، يُمنع التفريط فيه، أو القبول بتمييعه، وذلك يحتاج إلى تضافر الجهود الخيرة من أصحاب العقول النيرة، والأموال المباركة للبذل للتعليم والتفوق فيه، وإتاحته للراغبين فيه والمؤهلين له، كي لا يكون بيننا طالب محروم من مواصلة التعليم أو الحصول على شهادته بسبب عائق مالي أو عجز اقتصادي، فميدان التعلم والتعليم واسع ورحب، لمن أراد أن يستثمر لآخرته، ليفوز مع الفائزين، بجنة عرضها السماوات والأرض، أعدت للمتقين المخلصين.

العناية الإلهية أحاطت بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مولده وبعده

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله / رئيس التحرير

النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، أُحيط بالعناية الإلهية في حياته التي عاشها، قبل أن يُكلَّف بالنبوة وبعدها، والمتتبعون لسيرته، صلى الله عليه وسلم، يقفون عند حوادث وقعت قبل ميلاده، صلى الله عليه وسلم، مهدت لبعثته، فهو دعوة إبراهيم، وبشارة عيسى، عليهما السلام، وهو من سلالة أبي الأنبياء إبراهيم، عليه السلام، وقصة فداء جده عبد المطلب لأبيه معروفة، وقد جاءت إشارة إلى هذين الأمرين في حديث معاوية، المروي في المستدرك على الصحيحين، حيث قال: (فَأَتَاهُ الْأَعْرَابِيُّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَلَّفْتُ الْبِلَادَ يَابِسَةً وَالْمَاءَ يَابِسًا هَلَكَ الْمَالُ وَضَاعَ الْعِيَالُ، فَعُدْ عَلَيَّ بِمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ الذَّبِيحَيْنِ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ، فَقُلْنَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا الذِّبِيحَانِ؟ قَالَ: إِنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ لَمَّا أُمِرَ بِحَفْرِ زَمْزَمَ نَذَرَ لِلَّهِ إِنْ سَهَّلَ اللَّهُ أَمْرَهَا أَنْ يَنْحَرَ بَعْضَ وَلَدِهِ فَأَخْرَجَهُمْ، فَأَسْهَمَ بَيْنَهُمْ فَخَرَجَ السَّهْمُ لِعَبْدِ اللَّهِ، فَأَرَادَ ذَبْحَهُ فَمَنَعَهُ أَخْوَالُهُ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ، وَقَالُوا: ارْضَ رَبَّكَ

وَافِدِ ابْنَكَ، قَالَ: فَفَدَاهُ بِمِائَةِ نَاقَةٍ، قَالَ: فَهُوَ الذَّبِيحُ، وَإِسْمَاعِيلُ الثَّانِي)[1].

وعن شرف نسبه الذي أكرمه الله باختياره منه، يقول صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ)[2]

ولد عليه الصلاة والسلام عام الفيل، الذي أنقذ فيه الله البيت الحرام في مكة من أصحاب الفيل، وأنزل سبحانه من القرآن الكريم سورة الفيل التي خلدت هذا الحدث العظيم.

واختار الله خير القرون لبعثته، وعن ذلك يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ القَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ)[3]

ومعنى (بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ)؛ أي من خير طبقاتهم كائنين (قَرْنًا فَقَرْنًا) طبقة بعد طبقة (حَتَّى كُنْتُ مِنَ القَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ)؛ إذ القرن أهل كل زمان.

ففي هذه الوقائع التاريخية الثابتة، تبرز آثار العناية الربانية، التي جللت التمهيد لنبوة النبي، صلى الله عليه وسلم، والمستقرئ لها يَخْلُص إلى أن النبي، صلى الله عليه وسلم، كان ملاحظاً بالعناية الربانية من باب التميز والتكريم والتمهيد للنبوة، وتواصلت هذه العناية، وبرزت بوضوح في وقائع وجوانب عدة، خلال حياته قبل أن يبلغ بالرسالة وبعد التبليغ، نعرض طائفة من حالاتها وجوانبها على سبيل المثال لا

1. المستدرك على الصحيحين للحاكم: 2 /604، وقال الذهبي: إسناده واه.
2. صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي، صلى الله عليه وسلم، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة.
3. صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي، صلى الله عليه وسلم.

الحصر فيما يأتي:

شق صدره الشريف:

تعرض النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، لعمليتين نوعيتين تم خلالهما شق صدره، صلى الله عليه وسلم، من قبل ملائكة مكلفين بأداء هذه المهمة في سياق العناية الإلهية له، وقعت الأولى وهو طفل رضيع، والأخرى قبل الإسراء به، ومعراجه إلى السماء، وعن الأولى يخبر الصحابي الجليل أَنَسُ بْن مَالِكٍ: (أَنَّ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظِئْرَهُ - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ "، قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ).(*)

وعن حادثة شق الصدر الأخرى، يحدث أَنَس بْنُ مَالِكٍ، أيضاً، فيَقُولُ: (لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ مَسْجِدِ الكَعْبَةِ، أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ، فَقَالَ أَوَّلُهُمْ: أَيُّهُمْ هُوَ؟ فَقَالَ أَوْسَطُهُمْ: هُوَ خَيْرُهُمْ، فَقَالَ آخِرُهُمْ: خُذُوا خَيْرَهُمْ، فَكَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى أَتَوْهُ لَيْلَةً أُخْرَى، فِيمَا يَرَى قَلْبُهُ، وَتَنَامُ عَيْنُهُ وَلاَ يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلاَ تَنَامُ قُلُوبُهُمْ، فَلَمْ يُكَلِّمُوهُ حَتَّى احْتَمَلُوهُ، فَوَضَعُوهُ عِنْدَ بِئْرِ زَمْزَمَ، فَتَوَلَّاهُ مِنْهُمْ جِبْرِيلُ،

* صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى السماوات، وفرض الصلوات.

فَشَقَّ جِبْرِيلُ مَا بَيْنَ نَحْرِهِ إِلَى لَبَّتِهِ حَتَّى فَرَغَ مِنْ صَدْرِهِ وَجَوْفِهِ، فَغَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ بِيَدِهِ، حَتَّى أَنْقَى جَوْفَهُ، ثُمَّ أُتِيَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ تَوْرٌ مِنْ ذَهَبٍ، مَحْشُوًّا إِيمَانًا وَحِكْمَةً، فَحَشَا بِهِ صَدْرَهُ وَلَغَادِيدَهُ - يَعْنِي عُرُوقَ حَلْقِهِ - ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا...)(*)

الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، وعشق الخلاء، والتعبد في الغار، ثم بدء نزول الوحي:

قبل تبليغه، صلى الله عليه وسلم، بالنبوة، مهد الله لذلك بالرؤيا الصادقة، التي كان يراها في منامه، وحبب إليه الخلاء، والتعبد في غار حراء، الذي تلقى فيه الوحي أول مرة، وتلك من مناحي العناية الإلهية، التي أحاطه الله بها، وقد أخبرت أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، عن الرؤيا الصادقة، وبدء الوحي، ضمن تفصيل تبرز من خلاله الرعاية الربانية للنبي، صلى الله عليه وسلم، فقَالَتْ: (كَانَ أَوَّلَ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، فَكَانَ يَلْحَقُ بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - قَالَ: وَالتَّحَنُّثُ: التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ بِمِثْلِهَا حَتَّى فَجِئَهُ الحَقُّ، وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ المَلَكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي

* صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: 164].

فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ} - الآيَاتِ إِلَى قَوْلِهِ - {عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ})[*]

طمأنة ورقة بن نوفل:

بعد النزول الأول للوحي مع بدء مرحلة التكليف بالرسالة، (فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ، حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، قَالَ لِخَدِيجَةَ: أَيْ خَدِيجَةُ، مَا لِي لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ، قَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا، أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العَرَبِيَّ، وَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، قَالَ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى، لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا، ذَكَرَ حَرْفًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟ قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا أُوذِيَ، وَإِنْ

* صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)، باب منه.

يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ حَيًّا أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ فَتْرَةً، حَتَّى حَزِنَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).(*)

ما ودعه الله وما قلاه:

أخبر الله عن عنايته الفائقة بالنبي، صلى الله عليه وسلم، في كثير من السور والآيات القرآنية، منها الإخبار المتضمن في سورة الضحى، حيث التذكير بأن الله آواه، وهداه وأغناه، وأنه سيعطيه فيرضى، والتأكيد الرباني على أن الله لم يبغضه، ولم يقطع الوحي عنه بعد أن أرسله إليه، فقال عز وجل: {وَالضُّحَى* وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى * وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى *وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} (سورة الضحى)

وتفسير قوله تعالى: {ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى} أي: ما تركك ربك - أيها الرسول الكريم- منذ أن اختارك لحمل رسالته، وما أبغضك ولا كرهك، بل أنت محل رضانا ومحبتنا ورعايتنا.

فقوله: وَدَّعَكَ من التوديع، وهو في الأصل الدعاء للمسافر، ببلوغ الدعة، وخفض العيش، ثم استعير للمفارقة بعد الاتصال، تشبيهاً بفراق المسافر في انقطاع الصلة، حيث شبه - سبحانه - انقطاع صلة الكلام، بانقطاع صلة الإقامة.

والمقصود: نفي أن يكون اللّه - تعالى - قد قطع وحيه عن نبيه، صلى اللّه عليه وسلم.

* صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)، باب منه.

وقوله: {قَلى} من القِلا - بكسر القاف - وهو شدة البغض، يقال: قلا فلان فلاناً يقليه، إذا كرهه وأبغضه بشدة، ومنه قوله - تعالى - : {إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ}(الشعراء:168).[1]

وعن مناسبة نزول سورة الضحى يحدث جُنْدَبُ بْنُ سُفْيَانَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: (اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ - أَوْ ثَلاَثًا -، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ - أَوْ ثَلاَثَةٍ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى* مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلى} [الضحى: 1-3]، قَوْلُهُ: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلى} [الضحى: 3]، تُقْرَأُ بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ، بِمَعْنًى وَاحِدٍ، مَا تَرَكَكَ رَبُّكَ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا تَرَكَكَ وَمَا أَبْغَضَكَ)[2]

وتواصل سورة الشرح، الحديث عن مزيد من لطائف العناية الربانية التي أحاط الله بها نبيه وصفيه محمداً، صلى الله عليه وسلم، فيقول عز وجل: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} (الشرح: 1 - 4).

فالله شرح صدر النبي، صلى الله عليه وسلم، ووضع عنه وزره، ورفع ذكره، وعن معاني هذه المنن والرحمات الربانية، يبين البغوي في تفسيره، أن معنى: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ}؛ أي أَلَمْ نَفْتَحْ وَنُوَسِّعْ وَنُلَيِّنْ لَكَ قَلْبَكَ بِالْإِيمَانِ، وَالنُّبُوَّةِ، وَالْعِلْمِ، وَالْحِكْمَةِ؟

{وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ} قَالَ الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وقتادة والضحاك: حططنا عَنْكَ الَّذِي

1. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: 15 / 427.
2. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة (والضحى)، باب {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} [الضحى: 3].

سَلَفَ مِنْكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} (الْفَتْحِ: 2). وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: يَعْنِي الْخَطَأَ وَالسَّهْوَ، وقيل: ذنوب أمتك، فأضافها إليه لاشتغال قلبه بهم.

{الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ} أي أَثْقَلَ ظَهْرَكَ فَأَوْهَنَهُ، حَتَّى سُمِعَ لَهُ نَقِيضٌ؛ أي صوت.

وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى وَأَبُو عُبَيْدَةَ: يَعْنِي خَفَّفْنَا عَنْكَ أعباء النبوة، والقيام بأمرها.

{وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ}؛ أي إِذَا ذُكرتُ ذُكرتَ. وَقَالَ عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ الْأَذَانَ وَالْإِقَامَةَ وَالتَّشَهُّدَ وَالْخُطْبَةَ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَلَوْ أَنَّ عَبْدًا عَبَدَ اللَّهَ وَصَدَّقَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلَمْ يَشْهَدْ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ، وَكَانَ كَافِرًا، وَقَالَ قَتَادَةُ: رَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.(*)

منعه الله من صاحب السيف المسلط، ومن المطارد لنيل جائزة القبض عليه، ومن غيرهما من أهل الأذى:

بعد حمله، صلى الله عليه وسلم، أمانة تبليغ رسالة الإسلام، تعرض لحوادث تجلت خلالها إحاطته بالعناية الربانية الفائقة، التي نجاه الله بها من شر محكم، ومن تلك الحوادث، ما أخبر عنها الصحابي جَابِرِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ

* تفسير البغوي: 5/ 274.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَحْتَ سَمُرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَدْعُونَا، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي، وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ، - ثَلاَثًا - وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ) [1]

وعَنْ الْبَرَاءِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَالَ: (لَمَّا أَقْبَلَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى المَدِينَةِ تَبِعَهُ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَاخَتْ بِهِ فَرَسُهُ[2] قَالَ: ادْعُ اللَّهَ لِي وَلاَ أَضُرُّكَ، فَدَعَا لَهُ، قَالَ: فَعَطِشَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرَّ بِرَاعٍ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَأَخَذْتُ قَدَحًا فَحَلَبْتُ فِيهِ كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ[3]، فَأَتَيْتُهُ فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ)[4]

لطفُ الله الذي تجلَّى بحماية النبي، صلى الله عليه وسلم، في حوادث ووقائع مختلفة، يجمعها وأمثالها من حوادث الحماية الإلهية، الوعد الحق الذي قطعه الله له في سياق تكليفه بتبليغ الرسالة الربانية، حيث قال جل شأنه: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}(المائدة:67)، ومعنى: (يَعْصِمُكَ) يحميك، ويحفظك من أن ينالك أذى[5]

1. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة.
2. (فَسَاخَتْ بِهِ فَرَسُهُ) غاصت يداها في الرمال .
3. (كُثْبَةً مِنْ لَبن) شيئاً قليلاً .
4. صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه إلى المدينة.
5. انظر صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة المائدة، باب {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} [المائدة: 67].

ووعد آخر في سياق مشابه، جاء في قوله سبحانه: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ}(الحجر: 94 - 95)

قتال الملائكة:

ثبت بالدليل والمشاهدات، المخبر عنها بالآثار الصادقة، أن الملائكة ساندت المسلمين في معاركهم الحربية، والرسول، صلى الله عليه وسلم، بين ظهرانيهم في غزوتي بدر وأحد، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: (هَذَا جِبْرِيلُ، آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الحَرْبِ)[1]

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ: (هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ عَلَيْهِ أَدَاةُ الحَرْبِ)[2]

وعَنِ سَعْدٍ، قَالَ: (رَأَيْتُ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَنْ شِمَالِهِ يَوْمَ أُحُدٍ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابُ بَيَاضٍ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ، يَعْنِي جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)[3]

وقد أخبر الله في آيات من القرآن الكريم عن قتال الملائكة بأمر الله، إلى جانب أهل الحق في أكثر من واقعة، فيقول تعالى: {بَلَى إِنْ تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ}(آل عمران:125)

وأخبر الله عن مؤازرة الملائكة للمؤمنين في المعارك الحربية في الآيتين التاسعة،

1. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدراً.
2. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد.
3. صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي، صلى الله عليه وسلم، يوم أحد.

والثانية عشرة من سورة الأنفال، فقال سبحانه: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ}(الأنفال:9)، وقال تعالى: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} (الأنفال:12)

وهذه المؤازرة تدل بوضوح على العناية الإلهية التي خصَّ الله بها جنده، وعباده الصالحين، وعلى رأسهم النبي محمد، صلى الله عليه وسلم.

أهمية العناية الإلهية، وهي لا تنحصر في زمان أو مكان:

آثار العناية الإلهية يلمسها الخلق في واقعهم، ويجدونها ويلحظونها حولهم، ومن الشعر الجميل الذي نُظم في التعبير عن أهميتها، قول الشاعر الفلسطيني عمر اليافي(*):

وإذا العنايةً لاحظتك عيونُها ... لا تخشَ من بأسٍ فأنت تصانُ

وبكلّ أرضٍ قد نزلت قفارها ... نمْ فالمخـــاوف كلّهنَّ أمـــانُ

واصطدْ بها العنقاء فهي حبائلٌ ... واطعن بها الأعداء فهي سِنانُ

وافتح كنوزَ الأرض فهي غـرائمٌ ... واقتد بها الجــوزاء فهي عنان

* عمر بن محمد البكري اليافي شاعر فلسطيني، وُلد في مدينة يافا في فلسطين، وأصله يعود إلى مدينة دمياط في مصر، وقد عاش فترة من الزمن في مدينة غزة، ثمّ انتقل للعيش في دمشق حتى تُوفيّ فيها، واتسمّ بأنّه على علم بفقه الحنفية، والحديث، والأدب، وكتب خلال مسيرته الأدبية 326 قصيدة شعرية، إلى جانب عدد من الموشحات، وله ديوان من الشعر، وعدد من الرسائل الأدبية التي من أشهرها؛ مراعاة حق الوالدين، والجواب عن سؤال: هل الآخرة دار تكليف، وشرح بيت النابلسي الذي أوله: طه النبي تكونت من نوره. aldiwan.net معلومات عن عمر اليافي 10 /07 /2022.

والإمام علي بن أبي طالب، ينبه إلى أهمية العناية الإلهية بقوله:

إِذا لَم يَكُن عَونٌ مِنَ اللَهِ لِلفَتى فَأَكثَرُ ما يَجني عَلَيهِ اِجتِهادُهُ[1]

ويعبر الإمام الشافعي عن يقينه بالعناية الربانية وآثارها الإيجابية في تفريج الكرب، فيقول:

وَلَرُبَّ نازِلَةٍ يَضـــيقُ لَهــا الفَتى ذَرعاً وَعِندَ اللَهِ مِنها المَخرَجُ

ضاقَت فَلَمّا استَحكَمَت حَلَقاتُها فُرِجَت وَكُنتُ أَظُنُّها لا تُفرَجُ[2]

خاتمة:

ما أحوجنا إلى العناية الإلهية في حياتنا كلها، حاضرها ومستقبلها، ما أحوجنا إلى تلمُّسِها في مساراتنا الفردية والجماعية، بخاصة ونحن نواجه الأزمات المتفاقمة، والشدائد العاصفة، في معيشتنا، ومواجهتنا للاحتلال الغاشم، والتهاون من قبله بأرواحنا وأموالنا ومقدّساتنا وأرضنا وزروعنا وثمارنا وأملاكنا، والحرب الشرسة على وجودنا، وعلى الرغم من كل ذلك وسواه من المصاعب، سنبقى نوقن بالمدد الرباني، والعناية الإلهية، التي نرجو أن تحيط بنا، كما أحاطت بخير الأنام نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، حتى بلغ دينه المدى، وانتشر حبه في الآفاق، وخلد ذكره ودينه، وسيبقى هذا الخلود إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، وما ذلك على الله بعزيز.

1. ديوان علي بن أبي طالب، ص37.

2 ديوان الشافعي، ص64، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية.

قراءة في أدلة القائلين بمشروعية الاحتفاء بمولد النبي، صلى الله عليه وسلم

الشيخ د. أحمد خالد شوباش / مفتي محافظة نابلس

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فقد ولد النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، سيد المرسلين صبيحة يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول، لأول عام من حادثة الفيل، ولأربعين سنة خلت من ملك كسرى أنو شروان، الموافق للعشرين أو الثاني والعشرين من شهر نيسان سنة 571م، وذلك في شِعْبِ بني هاشم بمكة المكرمة.

وقد رأت أمه نوراً خرج منها يوم ولادته، فعن أبي أمامة قال: (قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، مَا كَانَ أَوَّلُ بَدْءِ أَمْرِكَ؟ قَالَ: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبُشْرَى عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ).(*)

ولما ولدته أمه أرسلت إلى جده عبد المطلب تبشره بحفيده، فجاء مستبشراً ودخل به الكعبة، ودعا الله، وشكر له، واختار له اسم محمد.

في مثل هذه الأيام من كل عام، يثار جدل واسع حول مشروعية الاحتفال بمولد النبي، صلى الله عليه وسلم، وتكثر الرسائل والفتاوى المتنوعة طولاً واختصاراً،

* مسند أحمد، تتمة مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي الصدي بن عجلان بن عمرو، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

وصغراً وكبراً، وتضج مواقع التواصل الاجتماعي في ذكر أحد القولين والانتصار له، ورمي أصحاب القول الثاني بالتهمة، والجهل وغير ذلك.

يتمسك المانعون من الاحتفال بمولد النبي، صلى الله عليه وسلم، بأن هذا الفعل لم يفعله النبي، صلى الله عليه وسلم، ولا الصحابة، وأنه أمر محدث، وأن فعله تشبه بالأمم الأخرى، ثم إن ذكرى المولد توافق ذكرى وفاته، صلى الله عليه وسلم، فكيف يحتفل به، خاصة إذا اشتمل ذلك الاحتفال على مخالفات شرعية وممارسات محرّمة.

والقائلون بالمشروعية لهم أدلة، نأتي على ذكرها، وما يقول العلماء فيها:

أولاً: قوله تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} (يونس: 58)

فالله سبحانه طلب منا أن نفرح بفضل الله وبرحمته، وهي ترجع إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، في بعض أقوال علماء التفسير، والنبي، صلى الله عليه وسلم، رحمة، وقد قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}. (الأنبياء: 107)

قال بعض المتأولين: الفضل الإسلام، والرحمة القرآن، وقال بعضهم: الفضل القرآن، والرحمة أن جعلهم من أهله، وقالت فرقة: الفضل محمد، صلى الله عليه وسلم، والرحمة القرآن[1]، وروى الضحاك عن ابن عباس، رضي الله عنهما: الفضل العلم والرحمة محمد، صلى الله عليه وسلم[2]، وهذا اختلاف تنوع لا تضاد، فلا مانع أن يكون المقصود كل ما ذكر.

ثانياً: قوله تعالى حكاية عن عيسى بن مريم، عليهما السلام: {رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً

1. ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 3 /126، الطبعة: الأولى، 1422هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
2. أبو حيّان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير: 6 /75، طبعة دار الفكر - بيروت، 1420هـ.

مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}(المائدة: 114)،

وقوله تعالى على لسان سيدنا عيسى، عليه الصلاة والسلام: {وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا}(مريم: 33)

هذه الآيات حافلة بالإشارة إلى ميلاد المسيح، عليه الصلاة والسلام، وذكر مزاياه التي أكرمه الله بها، وفضل المولى عليه، وصفاته، وما مدحه المولى به، وهي بمجموعها شاهدة الاحتفاء بهذا الحدث العظيم وداعية له.

وهل يكون ميلاد النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، أقل شأناً؟ كلا بل إنه أعظم وأكبر نعمة، وأجدر بالاعتناء به، دون أن يُتخذ عيداً، أو عبادة محدثة.

ثالثاً: حديث أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سُئِلَ عَنْ صَوْمِ الِاثْنَيْنِ؟ فَقَالَ: (فِيهِ وُلِدْتُ، وَفِيهِ أُنْزِلَ عَلَيَّ).[1]

وهذا نوع احتفال من النبي، صلى الله عليه وسلم، بمولده، فقد جعله النبي، صلى الله عليه وسلم، في صورة صيام، وليس بعيداً عن ذلك إطعام الطعام، أو الاجتماع على ذكر، أو صلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم، أو سماع شمائله الشريفة.

وفي إجابة النبي، صلى الله عليه وسلم، عن صيام الاثنين إشارة إلى شهر ربيع الأول العظيم، ذلك أن تشريف هذا اليوم متضمن تشريف هذا الشهر الذي ولد فيه، فينبغي أن نحترمه حق الاحترام، ونفضله بما فضل الله به الأشهر الفاضلة.[2]

---

1. صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة، وعاشوراء، والإثنين والخميس.
2. ابن الحاج، المدخل: 2 /3، طبع دار التراث.

رابعاً: قال عروة: "وثُوَيْبَةُ مَوْلاَةٌ لِأَبِي لَهَبٍ: كَانَ أَبُو لَهَبٍ أَعْتَقَهَا، فَأَرْضَعَتِ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أُرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرٍّ حِيبَةٍ[1]، قَالَ لَهُ: مَاذَا لَقِيتَ؟ قَالَ أَبُو لَهَبٍ: لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ غَيْرَ أَنِّي سُقِيتُ فِي هَذِهِ بِعَتَاقَتِي ثُوَيْبَةَ"[2]

وَذكر السُّهيْلي أَن الْعَبَّاس، رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ، قَالَ: لما مَاتَ أَبُو لَهب رَأَيْته فِي مَنَامِي بعد حول فِي شَرّ حَال، فَقَالَ: مَا لقِيت بعدكم رَاحَة إِلاَّ أَن الْعَذَاب يُخَفف عني كل يَوْم اثْنَيْنِ، قَالَ: وَذَلِكَ أَن النَّبِي، صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، ولد يَوْم الِاثْنَيْنِ، وَكَانَت ثويبة بشرت أَبَا لَهب بمولده، فَأَعْتقهَا. [3]

وقد بين العلماء أن خبر عروة مرسل، وعلى تقدير وصله، فالذي في الخبر رؤيا منام، فلا حجة فيه، أو أن الذي رأى المنام لم يكن قد أسلم بعد، فلا يحتج به، وعلى تقدير القبول يحتمل أن يكون ما يتعلق بالنبي، صلى الله عليه وسلم، مخصوصاً من ذلك، بدليل قصة أبي طالب حيث خفف عنه[4]، وقال القرطبي: هذا التخفيف خاص بهذا، وبمن ورد النص فيه.[5]

ولهذا يرى بعض أهل العلم أن قصة أبي لهب لا يحتج بها؛ لأنها رؤيا منامية،

---

1. الحيبة: الهم والحزن، والمقصود بشر حال. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر: 1 /466. طبع المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ - 1979م.
2. صحيح البخاري، كتاب النكاح، بَابُ {وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ} [النساء: 23].
3. العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 20 /95.
4. عَنْ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، قَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، لَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب كنية المشرك. والضحضاح: ما رقّ من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين، فاستعاره للنار، ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر: 3 /75.
5. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: 20 /95.

وكونها تتعارض مع قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا}(فاطر: 36)، وقال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ}(غافر: 49 - 50)

ويبدو أن في الحديث دلالة على أن الكافر قد ينفعه العمل الصالح في الآخرة، ويجوز أن يتفضل الله عليه بما شاء، كما تفضل على أبي طالب إكراماً.(*)

والمراد أن فرح أبي لهب، وإن كان فرحاً طبيعياً بمولد النبي، صلى الله عليه وسلم، وإعتاقه جاريته، كان سبباً لتخفيف عذابه، بسقيه قليلاً من الماء.

هذه مجموعة من الأدلة من القرآن والسنة، يبدو منها أن الاحتفاء بالنبي، صلى الله عليه وسلم، أمر مشروع، ورأي له رجاحته، ووجاهته، وما ينصره، والأخذ به مشروع، شريطة أن يخلو الاحتفال من المخالفات الشرعية والممارسات المحرمة التي قد ترافق تلك الاحتفالات.

والله سبحانه أعلى وأعلم

* فتح الباري شرح صحيح البخاري: 9 /145 – 146.

ذكرى المولد النبوي

هداية للناس، ودعوة لنبذ الباطل

شريف مفارجة / باحث شرعي/ دار الإفتاء الفلسطينية

قبل أكثر من 1400 سنة، ولد خاتم الأنبياء والمرسلين في مكة المكرمة، وبقدومه، صلى الله عليه وسلم، أنار الكون، وأزال الظلمات المتراكمة منذ قرون في زمن الجهل الذي غشي العقول، وبهديه صلوات الله عليه، أنار بصائر العباد بما ينفعهم، وبما يضرهم، حتى ينجوا بأنفسهم من المهالك والفتن في الدنيا والآخرة، قال تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}(آل عمران: 164)، ويقول الشاعر حسان بن ثابت، رضي الله عنه:

رسولٌ أتانا بالضياء وبالهدى رحيمٌ بنا، للخير والحقّ أرشدا

عليه صلاة الله ما انهلّ صيب وما مال أملود، وما طائر شدا(*)

أشكال الطوائف في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام:

كانت الطوائف البشرية قبل الإسلام في عهد الجاهلية في شبه الجزيرة العربية متعددة كثيرة، فكان منها الحنيفية واليهودية والوثنية والمسيحية، وكانت متوزعة في أقاليم مختلفة، فكانت قبائل في اليمن تدين باليهودية، وقبائل في أماكن أخرى تدين بالوثنية، وبعض القبائل تعبد الأصنام، ويأكلونها عند حصول المجاعة، وبعض

* موضوع. كوم: https://mawdoo3.com].

القبائل تئد بناتها ويدفنونهن أحياء، ومنها من تعتقد بالتثليث والحلول، ومنها من تعبد الأجرام العلوية كالصابئة، ويعتقدون أن الإله قاعد في السماء، ومنها من تعبد النار كالمجوس، ومنها غير ذلك.

فعند مجيئه صلوات الله عليه، وهديه ودعوته للناس كافة، انقشعت هذه الظلمات، وانقضت الخرافات، وذلك بتأييد الله سبحانه له بالمعجزات والبراهين، وخير مثال على ذلك القرآن الكريم المعجزة الخالدة التي تولى الله تعالى حفظه من التحريف، وتحدى الثقلين بأن يأتوا بمثله، أو بسورة منه، أو بآية، ولم يستطيعوا، فكان يتصف بالكمال والتمام، وهو ما جعل الأمة بتمسكها به وبسنة نبينا الكريم، صلى الله عليه وسلم، تبلغ أيام مجد الإسلام وعزه، وإنما ذلت بإعراضها عنه.

رحمة النبي، عليه الصلاة والسلام، بأمته:

كان رسولنا الكريم يسعى لهداية الناس جميعاً، حرصاً منه على دخولهم الجنة، وخوفاً عليهم من الوقوع في النار، ورحمة منه عليهم، فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الفَرَاشُ، وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا» [*]، جاء في تعليق مصطفى البغا على الحديث في الصفحة نفسها: "(التي تقع في النار) ما يتهافت في النار من الحشرات الطيارات، (ينزعهن) يدفعهن ويمنعهن، (فيقتحمن) يهجمن ويرمين بأنفسهن، (آخذ) أمسك بشدة، (بحجزكم) جمع حجزة، وهي معقد الإزار، وهو كناية عن حرصه، صلى الله عليه وسلم، على منع أمته عن الإتيان بالمعاصي التي تؤدي بهم إلى الدخول في النار، (وأنتم تقحمون) أصلها

* صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي.

تتقحمون فحذفت إحدى التائين تخفيفاً، وفي رواية (وهم يقتحمون)".

قال النووي: "إنه صلى الله عليه وسلم، شبه المخالفين له بالفراش، وتساقطهم في نار الآخرة بتساقط الفراش في نار الدنيا، مع حرصهم على الوقوع في ذلك ومنعه إياهم، والجامع بينهما اتباع الهوى وضعف التمييز وحرص كل من الطائفتين على هلاك نفسه".[*]

العاقبة للإسلام والمسلمين:

على الرغم من التآمر على الدعوة المباركة في بدايتها، حتى الآن من الداخل والخارج، وسعي الفاتنين إلى هدم كيان شرع الله، فإن المحاولات الخبيثة كلها في ذلك باءت بالفشل؛ لأن الله سبحانه هو من تولى حفظ شرعه ورسوله وأوليائه، ونشر دينه وتبليغه للعالم كله، وفي وقتنا هذا على الرغم من كل محاولات أعدائنا المكر بنا والخداع، وبث الأفكار الفاسدة في عقولنا، ونشر السموم في مجتمعنا في شتى نواحي الحياة، للقضاء علينا وعلى الإسلام، فإن اليوم الذي يعز فيه المسلمون وينتصرون كما عزوا من قبل وسادوا الأمم آت لا محالة، ولكن ما علينا إلا التمسك بكتاب ربنا، وسنة نبينا، صلى الله عليه وسلم، ونبذ جاهلية اليوم، وأمور البدع والضلال، والصبر والتوكل على الله حتى يفرجها علينا، كما أفرج على نبينا الكريم ،صلى الله عليه وسلم، والمؤمنين وقت ضعفهم في بداية الدعوة، فعلينا أن نجعل من ذكرى مولد أشرف الخلق عاملاً لبعث الهمة في النفوس تمسكاً بالدين، والعمل به، واليقين بنصر الله تعالى، واندحار الباطل مهما علا أو طال، كما انتصر نبينا، صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام، رضي الله عنهم.

* عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 16 /17.

شعر المديح النّبويّ

أ.يوسف عدوي / باحث وكاتب ومحاضر جامعي

المديح أو المدح:

المديح لغة: المدح نقيض الهجاء، وهو حسن الثّناء، والمَدْح مصدر، والمِدْحة الاسم، والجمع مِدَح، وهو المديح، والجمع المدائح والأماديح، والمدائح جمع المديح من الشّعر الّذي مدح به.(*)

المديح اصطلاحاً : يعد المديح أو المدح غرضاً من أغراض الشّعر العربيّ الرئيسة، قديماً وحديثاً، وهو في الأصل تعبير عن إعجاب المادح بصفات مثاليّة، ومزايا إنسانيّة رفيعة يتحلّى بها شخص من الأشخاص، أو أمّة من الأمم، وأفضل المدح ما صدر عن صدق عاطفة، وحقيقة واقعة.

المديح النّبويّ:

شعر وجدانيّ يهتمّ بمدح رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، بتعداد صفاته الخُلُقيّة والخَلْقيّة، وإظهار الشّوق لرؤيته، وزيارة الأماكن المقدّسة الّتي ترتبط بحياته، مع ذكر معجزاته المادّيّة والمعنويّة، ويُؤدّى هذا المديح بصوت جميل يرتقي بالنّفس،

* ابن منظور، لسان العرب، 2 /589، مادة مدح.

ويدفعها للسّموّ في آفاق أرحب، تدغدغ الرّوح والقلب والعقل، وهو رسائل سلام ومحبّة، ورؤية تنويريّة، احتفاء بنبيّنا العظيم، بتمثّل أخلاقه العالية، واقتفاء آثاره العمليّة، ونشر أخلاقه وفضائله بين الناس، فهو سيّد الخلائق، وخاتم النّبيّين، وآية الكون خُلُقاً وخَلْقاً، والنّور المتجلّى، يقول المقرّيّ: "المدائح النّبويّة بحر لا ساحل له، وفيها النّظم والنّثر، زاده الله شرفاً وحبًّا، عليه أفضل الصّلاة وأزكى السّلام"(*)

أخلاق الرّسول، ومدحه في القرآن الكريم:

مدح الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، وأثنى على الرّسل والأنبياء، عليهم الصّلاة والسّلام، إلّا أنّ أكثر الأنبياء نصيباً في المدح هو سيّدنا محمد، صلّى الله عليه وسلّم؛ وذلك لما له من شأن عظيم، ومكانة عالية عند الله عزّ وجلّ، فقد اصطفاه الله على البشر جميعهم، وشرح له صدره، ورفع له ذكره، ورفع عنه وزره، وأعلى له قدره. قال تعالى: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} (الشّرح : 4) وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيما} [الأحزاب : 56] وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء : 107] وقال جلّ من قائل: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم : 4] وقال سبحانه وتعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}[الأحزاب : 21] فعظمة سيّدنا محمد، صلّى الله عليه وسلّم، وقوّته من عظمة القرآن وقوّته.

* فاطمة عمراني، المدائح النبوية في الشعر الأندلسي، ص10 .

تطوّر المديح النّبويّ:

يبدو من خلال تتبّع تاريخ المديح النّبويّ أنه ظهر مبكّرا مع مولد الرّسول، صلّى الله عليه وسلّم، ولم يُعرف حينها بهذا المصطلح، وأوّل ما ظهر منه ما قاله جدّ الرّسول، صلّى الله عليه وسلّم، عبد المطّلب إبّان ولادته صلّى الله عليه وسلّم، فشبّه ولادته بالنّور والإشراق:

وأنت لمّا وُلِدْتَ أشرَقَتِ ال أرضُ وضاءت بنورك الأفق

وقال عمه أبو طالب في مدحه:

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل [1]

وتعود أشعار المدائح النّبويّة إلى بداية الدّعوة الإسلاميّة مع قصيدة (طلع البدر علينا) وقصائد شعراء الرّسول، صلّى الله عليه وسلّم، كحسّان بن ثابت، وعبد الله ابن رواحة، وكعب بن مالك، وكعب بن زهير صاحب قصيدة البردة المشهورة، ومطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيّم إثرها لــم يفــد مكبول

ويقول فيها:

إنّ الرّسول لنور يُستضاء به مهنّدٌ من سيوفِ اللهِ مسلول

فكساه النبي، صلّى الله عليه وسلّم، بردة، اشتراها فيما بعد معاوية بن أبي سفيان من أبنائه بعشرة آلاف درهم، وكان يلبسها الخلفاء بعد معاوية في العيدين. [2]

---

1. http://www.nidulhind.com، أمكن الرجوع إليه في 10 /1 /2023م .
2. ابن سلام الجمحي، الشعر والشعراء، ص87 .

وفي العصر الأمويّ برز مجموعة من شعراء المديح النّبويّ، ولعلّ أبرزهم: الفرزدق كذلك الكميت، ودعبل الخزاعيّ، وغيرهم.

وظهرت مجموعة من الشّعراء في العصر العبّاسيّ، ومن أبرزهم الشّريف الرّضيّ، وابن الفارض، ومهيار الدّيلميّ، والبحتريّ، والمتنبي، وأبو تمّام، وأبو العتاهية، ومروان بن أبي حفصة، وأبو الشّيص عليّ بن يحيى المنجم، وأبو دلامة، وغيرهم. ويقول ابن الفارض في مدح الرّسول، صلّى الله عليه وسلّم:

وحَيَاتِكُمْ يا أهلَ مكّةَ وهيَ لي قسم لقدْ كَلِفَتْ بكم أحشائي(*)

وبرز في العصر المملوكيّ الشّاعر شرف الدّين البوصيريّ الّذي نظم قصيدة (الكواكب الدّريّة في مدح خير البريّة) من (160) بيتاً، وأطلق عليها اسم (البردة) ومطلعها:

أمِنْ تذكُّرِ جيرانٍ بذي سلمٍ مزجتَ دمعاً جرى من مُقلةٍ بدمِ

وسنقف عند هذه القصيدة في مكان آخر من هذه الورقة البحثية إن شاء الله، ومن شعراء الأندلس الّذين اهتمّوا بالمديح النّبويّ لسان الدّين بن الخطيب، الّذي مدح الرّسول، صلّى الله عليه وسلّم، قائلاً:

مَدَحتْكَ آياتُ الكتاب فما عسى يُثْني على عُلْياكَ نظمُ مديحي

وإذا كتــابُ اللهِ أثنَى مُـفْصِحاً كان القُصورَ قُصارَ كلّ فصيحِ

وتميّز شعراء المدائح النّبويّة في العصر الأندلسيّ (92 هجريّ - 898 هجريّ) بالغزارة، وكثرة الشّعراء الّذين مدحوا الرّسول، صلّى الله عليه وسلّم، وتناولت

* فاطمة عمراني، المدائح النبوية في الشعر الأندلسي، ص243 .

الباحثة فاطمة عمراني (48) شاعراً في كتابها المتخصّص (المدائح النّبويّة في الشّعر الأندلسيّ) ومنهم: أبو البقاء الرّنديّ، وابن جابر الأندلسيّ، وأبو حيّان الغرناطيّ، وصفوان بن إدريس، وابن عربيّ، وابن عبدون، ولسان الدّين بن الخطيب.[1]

وفي العصر العثمانّي برز كثيرون من الشّعراء مادحي الرسول، صلّى الله عليه وسلّم، ومنهم: الشّيخ حبيب الرّحمن العثمانيّ الدّيوبنديّ، فيقول:

نبيّ الهدى عمّ الورى بذْلُ جودِه شفيعاً لأهل الأرض طرّا مشعشعا

وفي العصر الحديث برز العديد من الشّعراء، ومنهم: محمود سامي البارودي، وله مطوّلة (كشف الغمّة في مدح سيّد الأمّة)، وأبو بكر العلويّ، ويوسف النّبهانيّ، وأمير الشّعراء أحمد شوقي، حيث يقول كثير من النّقّاد إنَّهُ لم يمدح شاعرٌ الرسولَ، صلّى الله عليه وسلّم، مثل شوقي، فمدح الرسول، صلّى الله عليه وسلّم، في سبع قصائد جميلة جداً، وقال الشّيخ الشّعراويّ، رحمه الله، في أحمد شوقي: "**لم يمدح النّبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، أحد من النّاس بمثل ما مدحه به شوقي**"[2] ومن هذه القصائد: (ولد الهدى، ونهج البردة، وإلى عرفات، وسلوا قلبي) فقال في نهج البردة التي عدد أبياتها (190) بيتاً:

فاق البدور وفاق الأنبياء فكم بالخَلْقِ والخُلْقِ من حُسنٍ ومِنْ عِظَمِ

أخوك عيسى دعا ميتاً فقام له وأنــت أحْـيَـيْـت أجـيــالاً مــن الـرِّمَـمِ[3]

1. الشيخ أبو الفيض محمد الكتاني، ديوان شعر، ص170 .
2. فاروق جويدة، قصائد شوقي، أعظم المدائح في الرسول، جريدة الأهرام، العدد 49389، سنة 2022م .
3. أحمد شوقي، الديوان، 1 /190 .

المديح النّبويّ في الشّعر النّسائيّ:

في عهد الرّسول، صلّى الله عليه وسلّم، مدحته أخته في الرّضاعة الشّيماء بنت الحارث السّعديّة، وممّا أنشدته فيه:

يا ربَّنا أبقِ لنا محمّدا حتّى أراهُ يافعاً وأمردا

وهذه عمّته عاتكة بنت عبد المطّلب تبكيه مادحة خُلُقه ودينه حين هاجر من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة، قائلة:

أعينَيَّ جودا بالدّموع السواجمِ على المصطفى بالنُّور من آلِ هاشمِ

ورثته مادحة عمّته صفيّة بنت عبد المطّلب بعد وفاته، ومن المعروف أنّ ما يقال بعد الوفاة يسمّى رثاء، إلّا في رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يسمّى مدحاً؛ لأنّه موصول بالحياة، ويخاطب الرّسول، صلّى الله عليه وسلّم، كما يخاطب الأحياء، فأنشدت صفيّة موجّهة خطابها لفاطمة بنت رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم:

أفاطِمُ فابْكي ولا تَسأمِي بِصحْبِكِ ما طلَعَ الكَوْكَبُ
فأوحشتُ الأرضُ من فقدِهِ وأنّ البريّة لا تُنْكَبُ

ومدحته أمّ السّعد الحميريّة المعروفة بسعدونة، الّتي عاشت في القرن الثّالث عشر الميلاديّ، وممّا قالته:

في ظلّ طوبى ساكناً آمناً أسقى بأكوابٍ من السّلسبيلِ
فطالما استشفى بأطلالِ منْ يهواه أهلُ الحبّ في كلّ جيل

وكذلك مدحته الشّاعرة عائشة الباعونيّة الدّمشقيّة في القرن السّادس عشر الميلاديّ، وكتبت قصائد جميلة جدًّا في مدح الرّسول، صلّى الله عليه وسلّم، وتفوّقت فيها على

كثير من الرّجال، ومن شعرها:

صلّى عليكَ إلهي دائماً أبداً أزكى صلاةٍ قديم الفيضِ بالكرمِ

وفي العصر الحديث الشّاعرة العراقيّة نازك الملائكة الّتي عملت على تجديد مسار القصيدة النّبويّة، فتجاوزت النّطاق الكلاسيكيّ عبر التّشكيل بالصّورة الرّمزية، والإيقاع المفتوح على شعر التّفعيلة:

وجهُ حبيبي أكبر من لا نهاية

البحر من مداه

وجه حبيبي، زنابقٌ، أكؤسٌ، مياه

ومن شاعرات المديح النّبوي في العصر الحديث: عاتكة الخزرجيّ، ووفاء وجدي، وسميّة العتّيلي، ونبيلة الخطيب، وعليّة الجعّار، وسعاد النّاصر، وآمنة المريني. وتقول الشّاعرة وفاء وجدي:

الله أكرَمنا وأرسلَ أحمداً بالحقّ والتّوحيد يدعو والهدى

وتحتفي عليّة الجعّار بالرّسول، صلّى الله عليه وسلّم، بحادثة الإسراء والمعراج، بقصيدة بعنوان (سبحان مَنْ أسرى) تقول فيها:

سبحان مَنْ أسرى بخاتم الأنبياءِ للمسجد الأقصى في ليلة الإسراءِ

قد جاء بالبراق يطوي حدود المكان ويقطع الآفاق في غيبة من زمان

كذلك الشّاعرة الفلسطينيّة سمية العتيلي، لا تتوانى في إظهار محبّتها للنّبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، وعمق سعادتها بذكراه وسيرته، فتقول في قصيدة (ما خاب يوماً)

فالقدسُ تصرخ أينَ همْ جندُ الفدا يحمون بيتاً داسه الطّغيان

مسراك أحمد بالفؤاد وفي النّهى دومـاً بـه نعلو ولا ننهان[*]

* مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد الثالث، آذار، 2021م، ص791 - 814 .

رائعة الإمام البوصيريّ:

شرف الدّين أبو عبد الله البوصيريّ، سيّد المادحين، ولد سنة 1213م، وتوفي سنة 1297م، وعاش زمن الدّولة الأيوبيّة وأوائل دولة المماليك، وتُعدّ البردة من أهم القصائد في المدائح النّبويّة، وتبلغ (160) بيتاً، وتعدُّ ملحمة تاريخيّة تؤرّخ للسيرة النّبويّة، وترجمت القصيدة إلى أكثر من عشر لغات، منها: الفارسيّة، والتّركية، والإنجليزية، والفرنسيّة، والألمانية، وللقصيدة أكثر من تسعين شرحاً، بلغات متعدّدة.[1]

ونلاحظ وجه الشّبه بين بردة البوصيريّ، وقصيدة البردة لكعب بن زهير، فنظم كعب قصيدته، وأنشدها أمام الرّسول، صلّى الله عليه وسلّم، معتذراً عمّا فرط من هجاء، فقبل اعتذاره، وعفا عنه. ثمّ نظم البوصيريّ قصيدته وهو مصاب بالفالج، فشفاه الله، كذلك أثاب الرّسول، صلّى الله عليه وسلّم، كعباً ببردته الّتي خلعها عليه صلّى الله عليه وسلّم، كما أنّ الرّسول، صلّى الله عليه وسلّم، خلع على البوصيريّ بردته، فإذا هو معافى، ومطلع القصيدة:

أمن تذكّر جيرانٍ بذي سَلَمٍ مزجْتَ دمعاً جرى من مقلةٍ بدمِ

ويقول فيها:

محمّـد سيّـدُ الكونـيـنِ والثّقليـنِ والفريقين من عُربٍ ومن عَجَمِ

هو الحبيبُ الّذي تُرجى شفاعتُه لـكـلّ هـولٍ من الأهوال مُقتَحَمِ[2]

ويمكن تقسيم قصيدة البردة إلى أربعة أقسام رئيسة، هي:

1. شوقي ضيف، فصول من الشعر ونقده، ص246، وانظر لواء عبد الله، بردة المديح المباركة، ص8 – ص11 .
2. لواء عبد الله، بردة المديح المباركة، ص40 .

1. مقدّمة في الغزل الرّمزي. **2.** مخالفة هوى النّفس. **3.** شمائل الرّسول، صلّى الله عليه وسلّم، منزلته، وفضله، ومعجزاته، وإسراؤه، ومعراجه، وجهاده.

4. مناجاة الرّسول، صلّى الله عليه وسلّم، وطلب الشّفاعة منه. وسبب شهرة البردة، واستحواذها على قصب السّبق في كلّ زمان، يرجع إلى حسن نيّته، وصدق عقيدته، وعميق إيمانه، ويرى الدّكتور زكي مبارك أن من أسرار خلود البردة ما يرجع إلى الإخلاص، وهذا ما مكّن البوصيريّ من ناحية المجد الأدبيّ.(*)

شعر المديح النّبويّ في منهاج اللّغة العربيّة الفلسطينيّ:

يكاد منهاج اللّغة العربيّة الفلسطينيّ من الصّف الأوّل الأساسي حتى الصّف الثّاني عشر يخلو من شعر المديح النّبويّ، فلم أجد إلّا ثلاث قصائد فقط، في كتاب الصّف السّابع الجزء الأوّل، بعنوان: (من وحي الحرمين) للشّاعر محمّد مصطفى حمام من مصر، ومطلع القصيدة:

آنستُ نورَ الله جلّ جلاله ومشيت حيث مشى النّبيّ وآله

وقصيدة في كتاب الصّف التّاسع الجزء الأوّل، بعنوان: (ولد الهدى) للشّاعر أحمد شوقي، والّتي مطلعها:

وُلد الهدى فالكائناتُ ضياء وفمُ الزّمان تبسّمُ وثناءُ

وقصيدة في كتاب الصّف الحادي عشر، الجزء الثّاني، بعنوان: (بطيبة) للشّاعر حسّان بن ثابت، والّتي مطلعها:

بطيبةَ رسمٌ للرّسولِ ومعهدٌ منيرٌ وقد تعفو الرّسوم وتهمد

* زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، ص226 .

فكم دُهشت عندما راجعت أكثر من أربعة وعشرين كتاباً مدرسياً في اللّغة العربية في المنهاج الفلسطينيّ للصفوف جميعها، ولم أجد سوى ثلاث قصائد أشرت إليها سابقا في المديح النّبويّ، وباعتقادي فأنه كان ينبغي أن تكون في كل كتاب قصيدة واحدة على الأقلّ في هذا الغرض؛ حتّى نرسّخ، ونزرع حبّ رسولنا الكريم، صلّى الله عليه وسلّم، لدى طلّابنا في المراحل جميعها؛ ليقتدوا بسنّته، وأخلاقه العظيمة، والاستفادة من المعاني والقيم والمبادئ التي تشتمل عليها قصائد المديح النّبويّ.

شعراء نصارى مدحوا الرّسول، عليه الصّلاة والسّلام:

لم يقتصر مدح الرّسول، صلّى الله عليه وسلّم، على الشّعراء المسلمين، حيث قام بمدحه العشرات من الشّعراء النّصارى، منهم: حليم دموس، والدّكتور شبلي شميل، وخليل مطران، وجورج صيدح، وإلياس قنصل، صاحب المطوّلة الّتي سمّاها (النّبيّ العربيّ الكريم) ورشيد سليم الخوريّ، وعبد الله يوركي، ورياض معلوف، وإلياس فرحات، ووصفي قرنفلي، وشبلي ملاط، وجورج سلسلمي، ونقولا فيّاض، وجاك صبري شماس، ومن شعرهم ما قاله ميخائيل ويردي:

يا أيّها المصطفى الميمونُ طالِعُه قد أطلَع اللهُ منك النّورَ للظّلمِ

وما قاله رشيد سليم الخوريّ في قصيدة بعنوان: (عيد البريّة)

عيد البريّة عيد المولد النّبويّ في المشرقين له والمغربين دويّ (*)

سمات شعر المديح النّبويّ:

من خلال دراستي لشعر المديح النّبويّ وجدت أنّه يتميّز بسمات متعدّدة، أهمّها:

* ياسين السعدي، شعراء مدحوا الرسول الكريم، مجلة الإسراء، العدد 116، سنة 2014م، ص84 .

1 - شعر دينيّ، مؤثّر في النّفس ينطلق من رؤية إسلاميّة.

2 - يتأثّر بالأوضاع السّياسيّة، والتّصوّف، وظروف الحياة، فيلاحظ فيه حثّ المجاهدين على النّضال والجهاد عندما يذكّرنا بجهاد النّبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، وأصحابه ضدّ الكفّار كما ورد في بردة البوصيريّ، فيقول الدّكتور شوقي ضيف: "**المديح النّبويّ عند البوصيريّ لم يكن مديحاً نبويّاً فحسب؛ بل إثارة وتحريضاً ضدّ الصّليبيّين**".(*)

3 - صادق المشاعر، وفيه نبل الإحساس، ورقّة الوجدان.

4 - يكثر فيه الدّعاء، والاستغفار، والتّوبة، والشّفاعة.

5 - لغته سهلة واضحة، لا تعقيد فيها.

6 - معانيه واضحة، ليست معقّدة.

7 - كثير من المعاني مكرّرة عند معظم الشّعراء المادحين.

خاتمة:

لقد أردت من خلال هذه الورقة البحثية أن أتتبع بداية المدائح النبوية، وتطورها؛ ليتعرف القارئ إليها، ويُكَوِّن صورة عامة عنها، ويتمثل المعاني والقيم والمبادئ التي جاء بها الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، والأخلاق التي تمتع بها؛ ليقتدي به، ويسير على نهجه في حياته، ولإحياء سنته، وانتهاج هديه، وإقامة حكم الله في الأرض، وتطبيق منهاج الإسلام لإصلاح أحوال البشرية المنحدرة نحو الفساد والدمار، حيث طغت عليها المادية التي هبطت بها إلى حضيض الرذيلة.

* شوقي ضيف، البحث الأدبي، ص24 .

وأَشرَقت الأرضُ بنورِ النُّبوَّةِ مِنْ جَدِيد

الشيخ عمار توفيق بدوي / مفتي محافظة طولكرم

كم يخطئُ أولئك السادة الكرام المحتفلون بذكرى المولد النبويِّ الشريف؛ حينما يظنون أنّ الحفلَ النبويَّ كسائر الحفلات؛ يبدأ بالترحيب، وتوزيع المشروبات، وينتهي بطعام الحلويات، وكم يقع أولئك المترددون في شرعية الحفل في جدل معاني المصطلحات؛ أهو ذكرى المولد، أم عيد المولد. أما المبدِّعون للحفل، والذكرى، فلهم شأن آخر، فقلَّبوا النظر في كُتُبِ السُّنَنِ والصحاح؛ فلم تُسجل أقلامُهم حادثةً سابقة فيها الحفاوةُ بمولد النبي، صلى الله عليه وسلم.

وما دام الأمر كذلك؛ فلم يرد به نص؛ فهو بدعة، وكفى الله المؤمنين القتال، ولا يُفهم أنّ هذه الإطلالة غمزٌ أو لمزٌ بأحد من أصحاب الرأي في المولد النبوي الشريف، فكلٌّ له اجتهاده.

البشريةُ تنتظرُ ميلادَ رسولٍ جديد:

وعوداً على بدءٍ، فالمولد النبوي الشريف، جاء في وقت كانت البشرية تنتظر مبعث رسولٍ، بيده كتابُ هداية، بعد أنْ جفّت ينابيع الخير؛ فزادت الصحراءُ القاحلة

جفافاً، فهي تتلظى عطشاً، ولا تجد الماء، وهو لا يتنزّل إلا من السماء، {وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ} (البقرة: 22).

وبجوار الصحراء أهلُ كتاب، أفسدت اليدُ الآثمةُ منهم أنبلَ المعاني، فَحرَّفَتْ عقيدةَ التوحيد، {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ}(البقرة: 79)، وصارت حاملةً لناصية الشرك، والشركيات، وبُدِّلّت الأمزجةُ، وصنَعَ الخيالُ اختراعاتٍ، أذهلتْ عيونَ المراقبينَ، وصدمت به الفطرة السليمة.

وعلى الساحة العالمية حضارتان جبارتان غارقتان في أوحال الشهوات، سَكْرَى حتى الثُمالة في أوبئة الفساد، ينخر الانحطاطُ الخلقي أعمدتَها المترنحة، وهما:

أ: الحضارة الفارسية. ب: الحضارة الرومانية.

المولد النبوي دعاء إبراهيم، عليه السلام:

المولد النبوي الشريف، ليس حدثاً عابراً بلا جذور، إنه تذكرة جِدٌّ قوية في تأثيرها في النفس الإنسانية، وعلى حركة التاريخ، وانعطافته المنتظرة على الصراط المستقيم، فالمولدُ دعوةُ أبي الأنبياء إبراهيم، عليه السلام: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (البقرة: 129)، وقال صلى الله عليه وسلم: (وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسى).(*)

* مسند أحمد، مسند الشاميين، حديث العرباض بن سارية عن النبي، صلى الله عليه وسلم، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

المولد النبوي بشرت به التوراة والإنجيل:

مولد الرسول هو إشعار بأنّ الرسالة التي يحملها الرسول، صلى الله عليه وسلم، قد صار نزولها قاب قوسين أو أدنى، فصاحبها وُلد، صلى الله عليه وسلم، أما أهل الكتاب فعندهم الصادق، إن صدقوا ولم يستخفوا، قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(الأعراف:157)، ومعرفة أهل الكتاب بلغت أوجها، فهي أبلغ من معرفة أولادهم، قال تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} (الأنعام:20)

المولد النبوي بشارة نبي الله تعالى عيسى، عليه السلام:

مما يدلّ على جلال قدر النبوة، أنْ كشف الله لأنبيائه، اسم النبي الجديد الذي أرسل للناس كافة، وبشروا أقوامهم به؛ ليستعدوا للحوق به إذا أدركوه، قال تعالى عن بشرى عيسى، عليه السلام، بنبينا محمد، صلى الله عليه وسلم: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ} (الصف: 6)

المولدُ النبوي الكريم حدَثٌ كوني بديع:

قبل الميلاد العزيز المرتقب للبعثة الرسالية، أنّى اتجهتَ بنظرك شرقاً وغرباً، وجنوباً وشمالاً، رأيت تلهّفاً يسبق البصر، كأنه يقول متى نلتقي، ويحتضنُ الليلُ رواياتِ النُّبوةِ الوضّاءة. ثم يتلفت النظر في سماء الكون، فإذا بالسماء مزينة مزيونة، قال تعالى: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ} (الملك: 5)، فهناك حدَثٌ هائلٌ سيغير مجرى التاريخ، ينتقلُ قسراً من اليد الفارسية، والقبضة الرومانية، إلى يد طاهرة، وقبضة حانية قوية؛ ليقول: كفى لهؤلاء وهؤلاء، ثم يتصاعد في رحابة الكون، ويَثِبُ وثبة المنتصر؛ فيتلاشى غَسقُ الليل موجاتٍ إثرَ موجاتٍ، ويتنفّسُ الصبحُ تنفّسَ الصعداء، فخلْفَ زفراتِه رسولٌ كريم، ورسالة سامية، {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ} (التكوير: 17 - 22)

وقبل أن ترحلَ سُحبُ الظلام؛ من بعيد بعيد، ترسلُ الشمسُ عزمةً وثّابة من شعاعها؛ فتُحيل سحبَ الظلامِ إلى خيوط مبعثرة، لا قرار لها ولا استقرار، وهكذا تكون نهاية الليل البهيم، فلما عزم الصبح أن يتنفّس، ويضرب بيدِه القوية مناكبَ الليل؛ أماطت أنوارُ الصباحِ لثامَ الفجرِ؛ فأسفرتْ حقيقةُ الرسالة عن جمال فجرها، وبهاءِ صبحها، {كَلَّا وَالْقَمَرِ * وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ* وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ * إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ * نَذِيرًا لِلْبَشَرِ} (المدثر: 32 - 36)

ميلاد النبوة عرف به الحجر والشجر والجماد: عن العَلَاءِ ابْن جَارِيَةَ الثَّقَفِيّ، وَكَانَ وَاعِية، عَنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ أَرَادَهُ اللَّهُ بِكَرَامَتِهِ، وَابْتَدَأَهُ بِالنُّبُوَّةِ، كَانَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَبْعَدَ حَتَّى تَحَسّرَ عَنْهُ الْبُيُوتُ، وَيُفْضِي إِلَى مَكَّةَ وَبُطُونِ أَوْدِيَتِهَا، فَلَا يَمُرُّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: فَيَلْتَفِتُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَوْلَهُ [1]، وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ) [2].

وأخيراً سطعت شمسُ النبوة على جبال مكة، وتلالها، وسفوحها، وبطاحها، وأشرقت الأرض بنور النبوة من جديد، وشاء الله عز وجلّ أن يكون النبي الجديد عربياً قرشياً هاشمياً، أزكى الصلاة، وأتم التسليم عليه، وعلى من سار على دربه.

ومما زادني شرفاً وعزاً وكدتُ بأخمصي أطأُ الثريّا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن أرسلتَ أحمد لي نبيا

1. سيرة ابن هشام تحقيق السقا، 1 /234.
2. صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي، صلى الله عليه وسلم، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة.

أحمد النور

أ. زهدي حنتولي / دار الإفتاء الفلسطينية

تجمّل الشعرُ مزداناً ومؤتلقا ... وصافح النجم في العلياء مرتفقا
وسار من أفقٍ يعلو إلى أفقٍ ... يزهو ويسمو بمدح المصطفى أفُقا
تسابق الدرُّ من معنى ومن كلِمٍ ... في نظمِ قافيةٍ، يا فوزَ من سبقا
لاحت بمولدهِ ذكرى تحدّثها ... نسائم الروح طيباً ينثر العبقا
وعمّ في الكون نورٌ من وضاءتهِ ... تكحّلَ الصبح بالإشراق وانفلقا
فالكون مبتهجٌ في يوم مولدهِ ... والكائناتُ ضياءٌ يبرق الألقا
قد بشّرت أممٌ إشراق بعثتهِ ... بشرى تبدِّدُ فيها الظلم والغسَقا
إيوان كسرى تهاوى من مهابتهِ ... ونار فارس تخبو يومها صعقا
والمعجزات مضت تترى محدثةً ... بشائر الهدي عن نور بها انبثقا
يا "أحمد النور " يا خير الورى خلُقاً ... يا أفصح الخلْقِ من بالضاد قد نطَقا
والصدق صدقكَ منهاجٌ تعلّمهُ ... والعهد عهدكَ يا خير الذي صدقا
والجود ريحٌ بهِ تمضي وترسلهُ ... ومن عطائكَ فيضٌ جاوزَ الغَدَقا
قد جئتَ تحملُ قنديلاً تضيءُ بهِ ... من بعد وهنٍ دجا في الكونِ وانطبقا
طه النبيُّ صلاة الله يحملها ... قلبي إليكَ بحبٍّ شوقهُ خفَقا

أنت تسأل والمفتي يجيب

الشيخ محمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

حكم مشاهدة الرسوم المتحركة و(الإنمي)، ورسمها

السؤال: هل مشاهدة الرسوم المتحركة، و(الإنمي)، وتلصيق (استكرات) مصغرة لشخصيات خيالية، ورسمها حرام؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فبعد الاطلاع على قرار مجلس الإفتاء الأعلى رقم: 1/ 149 بتاريخ 16/ 2/ 2017م، فإنَّ أفلام الكرتون والرسوم المتحركة عبارة عن: "متسلسلة من الصور المرسومة، أو الملونة، أو المنتجة بأي طريقة فنية أخرى، التي تتغير مع الزمن لخلق إحساس بصري بالحركة"[1]، وعند التمعن في ماهية تلك الصور والرسوم، نجد أنها لا ينطبق عليها معنى الصور المذمومة كما في قوله، صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ)[2] وقوله، صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ

1. تاريخ الرسوم المتحركة: http://xash.me/animations-cartoons-history]،
2. صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة.

يَوْمَ القِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ)[1]، فالتصوير وفق هذه النصوص من أكبر الكبائر، وما تضمنته من وعيد شديد، إنما قُصِدَ به صانعو الأصنام، أو من يقصد مضاهاة خلق الله تعالى، يقول النووي في شرح حديث "إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا": "هي محمولة على من فعل الصورة لتُعْبد، وهو صانع الأصنام ونحوها، فهذا كافر، وهو أشد عذاباً" [2]

أما المضاهاة؛ فالصحيح أنَّ المقصود بها صُنْع الصُّورَة مع التحدي لقُدْرَة الْخَالِقِ عَزَّ وَجَل"[3]، وليست مجرد مشابهة صور مخلوقات الله، فالنباتات والجمادات من خلق الله، وتصويرها لا يكون مضاهاة.

وقد وردت أحاديث صحيحة تبين جواز بعض الصور، كما أخرج مسلم، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: (كَانَ لَنَا سِتْرٌ فِيهِ تِمْثَالُ طَائِرٍ، وَكَانَ الدَّاخِلُ إِذَا دَخَلَ اسْتَقْبَلَهُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَوِّلِي هَذَا، فَإِنِّي كُلَّمَا دَخَلْتُ فَرَأَيْتُهُ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا) [4]، فيستنتج من الحديث أن النبي، عليه الصلاة والسلام، لم يحرّم استعمال الستر الذي فيه الصورة، وإنما أمر بتحويل موضعه.

وعليه؛ فقد أجاز مجلس الإفتاء الأعلى في قراره المذكور آنفاً رسم شخصيات كرتونية متحركة لا سيما إذا كانت للتعليم، إذا تحققت فيها الضوابط الآتية:

1. صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء.
2. صحيح مسلم بشرح النووي، 14/ 91.
3. الموسوعة الفقهية الكويتية، 12/ 105.
4. صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة.

1. ألا تشتمل على مخالفات عقدية، مثل تمجيد ما يعبد من دون الله، أو مضاهاة خلقه عزَّ وجلَّ.

2. ألا تتضمن أشياء محرمة، مثل الصور المخلة بالآداب.

3. ألا تحمل مضامين سلبية، مثل السخرية من الآخرين، أو تمجيد العدوان، أو تشويه التاريخ، أو تعليم الأطفال البلاهة والحمق.

4. ألا تجسم صور الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام.

5. أن تعالج قضايا تربوية هادفة، وتربي في النشء قيم الإسلام الحميدة.

وعليه؛ فيجوز رسم الرسوم المتحركة و(الإنمي)، وعمل (الاستكرات) ومشاهدتها ضمن الضوابط والشروط المذكورة أعلاه.

2. حكم إرسال صور للجسم بهدف العلاج عبر الإنترنت

السؤال: أعاني من الوزن الزائد، وأريد القيام بعملية في تركيا، وتواصلت مع أكثر من مشفى، فطلبوا مني صورًا بوضع معين، يظهر مشكلة الجسم، ليتم تحديد إن كانوا سيجرون عملية أم إزالة دهون فقط، ووافق زوجي على ذلك، فأرسلت صورة واحدة أظهرت فيها منطقة البطن والأرداف، دون إظهار وجهي ومنطقة الصدر، فما حكم ذلك؟

الجواب: الله تعالى أمر بستر العورات، وغض البصر عنها، فقال تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ

إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا...} (النور: 30 - 31)، وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلَا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ، وَلَا يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَلَا تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ) [1]

وبالنسبة إلى كشف العورة لغرض طبي محض، ولضرورة علاجية أو تعليمية، فلا مانع منه، ضمن الضوابط الشرعية التي ينبغي الالتزام بها، ومنها:

1 - الأصل أن يعالج طبيب ثقة المريض الذكر، أما إن لم يتوافر فطبيبة ثقة، وكذلك بالنسبة إلى المرأة فينبغي أن تعالجها طبيبة، فإن لم تتوافر فطبيب ثقة.

2 - الحرص على الامتناع عن كشف عورات المرضى، إلا في حال الضرورة، وأن يكون الكشف بقدر الحاجة، وعلى الطبيب أو الطبيبة قصر الاطلاع على العورات على قدر الحاجة التي يستلزمها تشخيص المرض ومداواته، وألا تزيد عن ذلك، بناءً على القاعدة الفقهية: "الضرورة تقدر بقدرها" [2]، مع مراعاة غض البصر قدر الاستطاعة.

3 - تحرم طاعة الطبيب أو الطبيبة في التعري، إلا إذا كانت هناك ضرورة ملجئة، والإثم يتحمله الطرفان إذا كان الكشف دون حاجة، ولو برضا المريض، فرضا المريض لا يبيح المحرم، أما إذا لم يكن برضا المريض، ولا بإذن صريح منه، فالإثم يقع على الطبيب وحده، أو من تسبب في انتهاك الحرمات.

4 - تجنب الخلوة عند علاج مريض من جنس آخر.

---

1. صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب تحريم النظر إلى العورات.
2. القواعد الفقهية: 1/ 4.

وعملية إزالة الدهون إن كانت لسبب علاجي، أو بسبب الوزن الزائد، فلا حرج فيها، أما إن كانت لسبب تجميلي وتغيير الخلقة فلا تجوز.

وبالنسبة إلى إرسال الصورة إلى المشفى؛ فينبغي التنبيه إلى أن إرسال الصور عبر الإنترنت يكتنفه كثير من المحاذير، فيمكن أن تصل إلى جهة غير مأمونة أو غير معنية بالمحافظة على الستر، مما يستدعي أخذ الحيطة والحذر بالخصوص.

3. حكم الاستماع للقرآن الكريم خلال الدراسة

السؤال: ما حكم الاستماع للقرآن الكريم خلال الدراسة؟ وهل يتعارض ذلك مع قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: 204)؟

الجواب: قراءة القرآن الكريم والاستماع له، أجرهما عظيم عند الله، قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ)[1]، وثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه طلب من بعض الصحابة أن يقرأوا عليه القرآن، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اقْرَأْ عَلَيَّ، قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ، قَالَ: إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي)[2]

وقد اختلف الفقهاء في حكم الإنصات لقراءة القرآن خارج الصلاة على قولين: فذهب الحنفية إلى الوجوب؛ لقوله تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}(الأعراف: 204)، فالمطلوب الإنصات عند سماع قراءة القرآن سواء في

1. سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ماله من الأجر، وصححه الألباني.
2. صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب البكاء عند قراءة القرآن.

الصلاة أم خارجها، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[1]

وذهب المالكية والشافعية والحنابلة إلى الاستحباب والندب، وحملوا الآية الكريمة على أن الأمر فيها في حال الصلاة فقط[2]

وما نميل إليه أن الاستماع للقرآن الكريم له آدابه، وليس من ذلك أن يكون المسلم متغافلًا عنه، ومنشغلًا بأمور أخرى، كالدراسة أو غيرها، قال الطبري في تفسير قوله تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (الأعراف: 204)، أي: "أصغوا له سمعكم، لتتفهموا آياته، وتعتبروا بمواعظه، وأنصتوا إليه لتعقلوه وتتدبروه، ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه، ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه، واعتباركم بعبره، واستعمالكم ما بينه لكم ربكم من فرائضه في آيه"[3]، وقال السعدي: "هذا الأمر عام في كل من سمع كتاب الله يتلى، فإنه مأمور بالاستماع له والإنصات، والفرق بين الاستماع والإنصات، أن الإنصات في الظاهر ترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه، وأما الاستماع له، فهو أن يلقي سمعه، ويحضر قلبه، ويتدبر ما يستمع"[4]،هذا حين يكون المستمع للقراءة بيده الأمر، ويمكنه التصرف، أما عندما يكون التحكم بالقراءة بيد غيره، وهو منشغل بالدراسة أو غيرها، فلا يكلف حينئذٍ بالاستماع لزوماً، لأن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها.

---

1. البحر الرائق لابن نجيم: 1/ 364.
2. الفواكه الدواني للنفراوي: 1/ 263، الحاوي الكبير للماوردي: 2/ 429، المبدع في شرح المقنع لابن مفلح: 2/ 60، 1/ 432.
3. تفسير الطبري: 13/ 344.
4. تفسير السعدي: ص: 314.

4. حكم لبس الرجل أساور الفضة وسلاسلها

السؤال: ما حكم لبس الرجل أساور الفضة وسلاسلها؟ علماً أنها تكون خاصة بالرجال في تصميمها، حتى يتم تجنب التشبه بالنساء.

الجواب: يشرع للرجل لبس الفضة، لما ثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه اتخذ خاتماً من ورِق (فضة)[1]

واتفق الفقهاء من حيث الجملة على جواز لبس الرجل خاتماً من فضة، وعلى جواز اتخاذ سن أو أنف من فضة، وعلى جواز تحلية آلات الحرب بالفضة [2]، ومنع معظمهم لبس ما عدا ذلك من السلاسل والأساور، سواء أكانت من الفضة أم من غيرها من المعادن كالبلاتين وغيره، لما فيه من التشبه بالنساء، وقال الإمام النووي، رحمه الله: "قال أصحابنا يجوز للرجل خاتم الفضة بالإجماع، وأما ما سواه من حلي الفضة كالسوار والمدملج والطوق ونحوها فقطع الجمهور بتحريمها ....؛ لأن في هذا تشبهاً بالنساء وهو حرام"[3]، وجاء في المذهب المالكي: "وأما ما يباح من الفضة للرجل ففي ثلاثة أشياء: السيف والخاتم والمصحف"[4]

5. حكم أخذ راتب وعمولة لتسويق بضاعة

السؤال: طلب مني أحد التجار إنشاء صفحات عبر تطبيق الانستجرام، لعرض بضاعته الموجودة في مخازنه عليها، وأسوقها للزبائن بترويج السلعة عن طريق تنزيل

1. صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب نقش الخاتم.
2. الشرح الصغير: 1 / 61، حاشية الدسوقي: 1 / 63.
3. المجموع شرح المهذب: 4 /444.
4. جواهر الدرر في حل ألفاظ المختصر: 3 /84.

صورها، ووصف السلعة، والتواصل مع الزبون، والاتفاق معه على التوصيل، والتاجر هو من يوصلها إليه، على أن أتقاضى راتبًا ثابتًا مع نسبة ربح بسيطة عن كل منتوج أقنع الزبون به، فهل يدخل هذا العمل في بيع ما لا أملك؟

الجواب: اشترط مجلس الإفتاء الأعلى في قراره رقم: 2/ 149 بتاريخ 16/ 2/ 2017م لإجازة أخذ العمولة مقابل جلب الزبائن وتشجيعهم على شراء سلع مادية، أو خدمات إلكترونية، الشروط الآتية:

1 - أن تكون السلع أو الخدمات مباحة، فلا يجوز التسويق لسلعة أو خدمة محرمة.

2 - أن لا تصبح العمولة سبباً في زيادة السعر على المشتري، بما يُحدث غبنًا فاحشًا.

3 - أن يَتحرى الوسيط أو السمسار الصدق فيما يخبر به عن السلعة أو الخدمة.

4 - أن لا يدفع المسوق أو السمسار اشتراكًا أو مبلغًا من المال؛ لأن السمسرة الجائزة هي التي يأخذ فيها السمسار المال دون أن يدفع، فلا يصح أن يدفع المال لصاحب السلعة أو الخدمة، وإن دفع السمسار اشتراكاً يصبح عمله شبيهاً بالقمار والميسر؛ لأنه قد يخسر ذلك المال لعدم نجاحه في تسويق السلعة أو الخدمة، وقد يربح أضعاف ما دفع إن نجح في التسويق.

وعليه؛ فيمكن ترويج البضاعة عبر صفحات التواصل الاجتماعي مقابل أجرة وعمولة على ذلك ضمن الضوابط المذكورة أعلاه؛ لاندراج ذلك ضمن السمسرة الجائزة والله تعالى أعلم

والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل

التورق المصرفي المنظم بين قرارات المجامع الفقهية وهيئات الاستشارة الشرعية في البنوك الإسلامية

أ.د. جمال زيد الكيلاني / عضو مجلس الإفتاء الأعلى

يعدّ التورق المصرفي المنظم أحد آليات التمويل والتموّل التي تعتمد عليها بعض البنوك الإسلامية، وتتمثّل الميزة التي يقدّمها هذا النوع من العقود عن غيره في تمكين العميل من الحصول على تمويل نقدي من البنك.

وعلى الرغم من حداثة عقد التورق المصرفي المنظم، فإنه يرتبط بنوعين من العقود التي تحدث عنها الفقهاء قديماً، ونعني هنا بيع العينة الذي ذهب جمهور الفقهاء إلى حرمته، وبيع التورق الفقهي الذي ذهب جمهور الفقهاء إلى جوازه.

والمقصود ببيع العينة: قيام الطرف الذي يرغب في الحصول على النقد بشراء السلعة من بائعها بثمن آجل، ثم بيعها للبائع نفسه نقداً بأقل من ثمن الشراء الآجل، والغاية من ذلك تحصيله النقد.

أمّا بيع التورق: ففيه يقوم الطرف الذي يرغب في الحصول على النقد (المتورق) بشراء سلعة بثمن آجل لغاية بيعها نقداً لطرف ثالث بأقل مما اشتراها به.

أمّا عقد التورق المصرفي المنظم، ففيه يقوم المصرف ببيع سلعة إلى العميل

بثمن آجل، ثم يقوم (البنك) ببيعها إلى طرف ثالث نقداً بثمن أقل من ثمن الشراء وكالة عن العميل، وعادة ما يكون الطرف الثالث بنكاً يرغب في شراء السلعة لإتمام عملية تورق ثانية على السلعة ذاتها. وينتج عن التورق المصرفي المنظم حصول العميل على المبلغ النقدي الذي يريده، في مقابل انشغال ذمته بمبلغ أكبر لصالح البنك.

ويتشابه عقد التورق المصرفي المنظم مع التورق الفقهي في كون المعاملة تقوم على ثلاثة أطراف، فالسلعة يتم بيعها إلى طرف ثالث، كما يتشابه مع بيع العينة في كون أطراف العقد متواطئة على إعادة بيع السلعة نقداً لصالح العميل.

وتتشابه العقود الثلاثة في كونها تقوم على بيعتين: الأولى بيع إلى أجل بثمن مرتفع، والثانية بيع نقد بثمن منخفض، كما تتشابه العقود الثلاثة في نية العميل بإعادة بيع السلعة عاجلاً لتحصيل النقد، كذلك في انشغال ذمة العميل تجاه البائع بمبلغ أكبر من الذي تحصّل عليه من بيعه السلعة.

وعلى الرغم من التشابه بين التورق الفقهي والتورق المصرفي المنظم، فإنهما يختلفان في أمرين، هما:

الأول: وجود تواطؤٍ مسبق بين البائع (البنك) والمتورق في التورق المصرفي المنظم؛ فالسلعة غير مرغوبة للطرفين، وإنما حصول المتورق على النقد، ثم ردّه آجلاً مع زيادة، مع الإشارة إلى تواطؤ الطرف الثالث في هذا الاتفاق، والذي يكون في العادة بنكاً آخر. وهذا بخلاف التورق الفقهي، فقصد التورق يكون من المتورق فقط،

دون معرفة البائع والمشتري النهائي (الطرف الثالث).

الثاني: توسط البنك في بيع السلعة لصالح العميل بعد تملكه لها، وذلك بأن يكون البنك وكيلاً عن العميل المتورق في قبض السلعة وبيعها وقبض ثمنها، وتسليمه للمتورق. وهذا غير متحقق في التورق الفقهي.

فلو افترضنا بأنّ العميل يرغب في الحصول على مبلغ 1000 دولار نقداً، فإنّ البنك يقوم ببيعه سلعة تبلغ قيمتها السوقية 1000 دولار بثمن آجل يبلغ 1100 دولار، يسددها العميل على أقساط، ثم يقوم العميل بتوكيل البنك ببيعها إلى طرف ثالث، شريطة أن تكون قيمة البيع 1000 دولار نقداً، وبذلك يحصل الطرف الثالث على السلعة، والعميل على 1000 دولار نقداً، ويترتب في ذمته 1100 دولار لصالح البنك.

ومن التطبيقات المصرفية للتورق المصرفي المنظم ما يأتي:

1. التورق لتمكين عملاء البنوك التقليدية من سداد مديونياتهم تجاهها: وبذلك ينتقل العميل من كونه مديناً للبنوك التقليدية إلى كونه مديناً للبنوك الإسلامية.

2. تغطية بطاقات الائتمان عن طريق التورق: وتلجأ البنوك إلى التورق هنا حال عجز العميل عن سداد قسط أو أكثر من الأقساط التي ترتبت في ذمته لصالح البنك، نتيجة استخدامه لبطاقة الائتمان، وبذلك يقوم البنك بإجراء عمليات تورق تساوي في قيمتها الأقساط المتعثرة للعميل، ويترتب في ذمته - نتيجة هذه العملية - مبالغ إضافية تساوي الفرق بين ثمن الشراء الآجل من البنك وثمن البيع العاجل إلى طرف ثالث.

3. التورق العكسي: ويسمى بذلك؛ لأنّ أطراف العقد تتبادل أدوارها، فالبنك يصبح جهة العجز المالي الراغبة في الحصول على النقد، والعميل يمثل جهة الملاءة المالية التي ترغب في منح التمويل للبنك، ويوكل العميل البنك بشراء سلعة بثمن عاجل يدفعه العميل، ثم يبيعها العميل للبنك بثمن آجل مرتفع، وبعد تملك البنك للسلعة فإنّه يقوم بإعادة بيعها لطرف ثالث.

وقد ذهب مجمع الفقه الإسلامي الدولي في قراره رقم: 179 (19/5) بشأن التورق: حقيقته، أنواعه (الفقهي المعروف والمصرفي المنظم) إلى حرمة التورق المصرفي المنظم والتورق العكسي؛ وعلة ذلك هي تحقّق التواطؤ بين البنك والمتورق صراحة أو ضمناً أو عرفاً، بهدف التحايل غير المشروع على الربا، وذلك بتحصيل النقد الحاضر بأكثر منه في الذمة.

وعلى الرغم من قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي، فإن هيئات الشورى الشرعية في كثير من البنوك والمصارف الإسلامية أجازت العمل بالتورق المصرفي المنظم، وأصدرت هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (أيوفي) فيه معياراً خاصاً، وهو معيار : التورق رقم (30) نظم العمل به في المصارف الإسلامية ضمن شروط وآليات محددة، واستندت في ذلك إلى تشابه بنية التورق المصرفي المنظم مع التورق الفقهي الذي أجازه جمهور الفقهاء، كما أنّ الأصل في الحكم على العقود اعتبارُ الظاهر منها، دون النّظر في نية المتعاقدين أو مآلاته، وبذلك فإنّ التورق

المصرفي المنظم عبارة عن مجموعة من العقود الصحيحة المنفصلة المتتابعة، وهي: بيع آجل من قبل البنك إلى العميل، ثم وكالة بالبيع يكون فيها العميل موكلاً، والبنك وكيلاً، ثم بيع عاجل.

وقد نوقشت هذه الأدلة من كون قياس التورق المصرفي على التورق الفقهي قياس مع الفارق؛ فالتواطؤ الحاصل بين أطراف التعاقد في التورق المصرفي غير متحقق في التورق الفقهي، بل إنّ ذلك يجعله أقرب إلى بيع العينة منه إلى التورق الفقهي.

كما أنّ القول بأنّه لا اعتبار للنية والمقاصد والمآلات في العقود غير مسلم فيه؛ بل إنّه معمول به عند الفقهاء، وخاصة المالكية والحنابلة، ونية تملك السلعة للانتفاع الخاص أو المتاجرة بها غير متحققة في التورق المصرفي، بل إنّ المقصود منه الحصول على الثمن العاجل مقابل أكثر منه في الذمة.

كما أنّ جمهور الاقتصاديين يشيرون إلى المفاسد العظيمة المترتبة عليه، فهو يساهم في النمو المستقل للاقتصاد المالي دون أن يرافقه نمو في الاقتصاد الإنتاجي الحقيقي، وهي حالة غير سويّة على الصعيد الاقتصادي.

وجملة القول: إن هناك اختلافاً بين علماء المالية المعاصرة في إجازة التورق المنظم، فهيئات الفتوى الشرعية الخاصة بالبنوك الإسلامية تفتي بإجازته، والمجمع الفقهي الدولي يحظره ويمنعه.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

الإعسار بالنفقة

روان عمر شيخ / باحث شرعي / دار الإفتاء الفلسطينية

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، الحمد لله رب العالمين، بديع السماوات والأرض، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد؛

فالأسرة هي اللبنة الأساسية في المجتمع المسلم، وهي المحضن الأول لرعاية الأبناء، والحجر الأساس الذي تتشكل منه شخصيتهم، وقد أولى الإسلام الأسرة عناية خاصة، وَبَيّنَ كثيراً من الأحكام التي تنظم الأسرة، ومنها، أحكام النفقة، والإعسار بها.

أولًا - تعريف النفقة لغة واصطلاحًا:

النفقة لغة: من الإنفاق، من مادة (نفق)، وهي: ما أنفقت، واستنفقت على نفسك والعيال[1].

أما اصطلاحًا: ما وجب من قوت، وإدام، وكسوة، ومسكن بالعادة بقدرة وسعة، بسبب القرابة أو الملك أو النكاح".[2]

1.الفراهيدي، العين 5 /177.

2.المواق، التاج والإكليل لمختصر خليل 5 /541.

ثانيًا - حدود الإعسار:

يكون الإعسار بالعجز عن نفقة الكفاية؛ لأن الكفاية هي نفقة واجبة، لدفع الحاجة، فتقدر بها؛ لقوله تعالى: {فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ}(البقرة: 229)، فالمعروف هنا هو نفقة الكفاية؛ أي: ما كان فوق التقتير ودون الإسراف [1]؛ لقوله تعالى: {عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ}(البقرة: 236)، ووجه الدلالة من هذه الآية، أن من المعروف النظر في الحالين، اليسار، والإعسار، فتفرض النفقة بمقدار ما يعلم أنّها تقع به، وما تُدرأ به الحاجة من المأكل والمشرب.[2]

وقد اختلف الفقهاء في كون النفقة مقدرة أو غير مقدرة على النحو الآتي:

الفريق الأول: ذهب الحنفية[3] والمالكية[4] والحنابلة [5] والظاهرية [6] إلى أنّ النفقة غير مُقدَّرة بالشرع، ويعد في تقدير الحاجة اختلاف الأوقات والأمكنة، ويراعى عند تقدير النفقة أيضًا حال المنفِق، من الفقر والغنى، ويعود تقديرها إلى القاضي والحاكم.

الفريق الثاني: ذهب الشافعية[7] إلى أنّها مُقدّرة، ويختلف مقدارها باختلاف اليسار، والإعسار، والتوسط، وهذا المقدار مختلف باختلاف الأحوال، وحملوا تقديره على أصلين، وأولُ الأصول الكفارات؛ وذلك لسببين، أحدهما الإطعام، لأنّه يقصد به سدّ الجوع، والآخر: أنّه إطعام يستقر في الذّمة، وأكثر الطعام المُقدّر في الكفارات فدية

1.السرخسي، المبسوط 5 /181.
2. السرخسي، المبسوط 5 /181، ابن قدامة، الكافي في فقه الإمام أحمد 3 /227.
3.السرخسي، المبسوط 5 /181.
4. ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد 3 /77.
5. ابن مفلح، المبدع في شرح المقنع 7/ 160.
6. ابن حزم، المحلى بالآثار 9 /261.
7. الماوردي، الحاوي الكبير 11 /425.

الأذى[1]، وأقل الطعام المُقدّر في الكفارات؛ كفارة الوطء في شهر رمضان، ومقدارها مُّد لكل مسكين، فجعلت أصلًا لنفقة المعسر، والمتوسط يزيد على حال المعسر، وينقص عن حال الموسر.

ومن خلال ما سبق يُلاحظ أنّ حدود الإعسار مُقَدر بالعجز عن نفقة الكفاية؛ وأنّها خاضعة لسلطة تقدير القاضي: فتختلف باختلاف العرف، والزمان، والمكان، وحال المنفِق، ونرى أن يراعى في تقديرها أيضًا الحالة الاقتصادية لبلد المنفِق، والمنفَق عليه، والأسعار المحلية؛ لأنّ المقصد من النفقة هو سَدّ الحاجة، ولا يكون سَدّ الحاجة إلا بمراعاة الحالة الاقتصادية للمُعسر، وتغير الأسعار.

ثالثًا - حكم الإعسار:

الإعسار في النفقة الزوجية:

اختلف الفقهاء في حكم الإعسار في نفقة الزوجة على النحو الآتي:

الفريق الأول: ذهب الجمهور من الحنفية[2]، والشافعية[3] والحنابلة[4] إلى عدم سقوط النفقة عند الإعسار، بل تجب عليه نفقة إعسار حسب حال الزوج.

أدلة الجمهور:

1 - {أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ}(الطلاق: 6)، ووجه الدلالة من هذه الآية: أنّ الله أمر بالنفقة على قدر ما يجد المنفِق من السعة والمقدرة.[5]

---

1. هي فدية تجب على الحاج بسبب ارتكابه محظورًا من محظورات الحج، مثل: استعمال الطيب، وحلق الشعر، لبس المخيط من الثياب للرجل، وغيرها، فيجب على مرتكبها فدية من صيام أو صلاة أو نسك، انظر: مالك، المدونة 1 /412.
2. الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع 4 /24.
3. الشيرازي، المهذب في فقه الإمام الشافعي 3 /155.
4. ابن قدامة، الكافي في فقه الإمام أحمد 3 /229.
5. الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع 4 /24.

2 - ما ورد في الأثر أنَّ عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: (كَتَبَ إِلَى أُمَرَاءِ الْأَجْنَادِ فِي رِجَالٍ غَابُوا عَنْ نِسَائِهِمْ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوهُمْ بِأَنْ يُنْفِقُوا أَوْ يُطَلِّقُوا، فَإِنْ طَلَّقُوا بَعَثُوا بِنَفَقَةِ مَا حُبِسُوا)[1]، ووجه الدلالة من هذا الحديث: لو لم تكن النفقة واجبة لما أوجب عمر، رضي الله عنه، أحد الأمرين على الأزواج؛ الإنفاق، أو الطلاق.[2]

الفريق الثاني: ذهب المالكية [3] إلى سقوطها عن المنفِق بسبب الإعسار، واستدلوا بالأدلة الآتية:

1 - قوله تعالى: {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا} (الطلاق: 7)، ووجه الدلالة من هذه الآية: أن الله لا يكلف النفس إلا بقدر وسعها وطاقتها، فإن كان معسرًا لم يؤته شيئًا، فلا يُكلف بشيء، فتصبح النفقة غير لازمة لانتفاء التكليف [4].

وبالنظر في قانون الأحوال الشخصية المعمول به في المحافظات الفلسطينية الشمالية، نجد أنّ النفقة الزوجية لا تسقط بالإعسار، ولا يُفرق بينهما بسبب الإعسار، وإنما يأمرها بالاستدانة.[5]

ونرى عدم سقوط النفقة بالإعسار، لقوة أدلة الجمهور، ولأنّه لو لم تكن النفقة واجبة حتى في الإعسار، لما كان هناك معنى من قوله (مِن وجدِكم)، والوجد كما

---

1. سنن البيهقي، كتاب النفقات، باب الرجل لا يجد نفقة امرأته، صححه الألباني، انظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل 7 /227.
2. الصنعاني، سبل السلام 2 /328.
3. حاشية الدسوقي 2 /517.
4. الخرشي، شرح مختصر خليل للخرشي 4 /195.
5. المادة (73).

فسره الإمام الطبري: "من سعتكم التي تجدون"[1]

وما استدل به المالكية يصلح أن يكون دليلًا للجمهور؛ لأنّ الله تعالى ذكر أن من قُدرَ عليه رزقه؛ فلينفق بقدر ما أتاه الله من الرزق، ولأنّ النفقة كما يحتاج إليها المنفَق عليه في اليسار، يحتاج إليها في الإعسار، ويمكنه الاستدانة حتى يصبح موسرًا.

رابعًا - الإعسار في نفقة الأقارب:

اختلف الفقهاء في وجوب نفقة الأقارب مع إعسار المنفِق، على ثلاثة أقوال:

القول الأول: ذهب الحنفية[2] إلى أنّه لا يجبر المعسر على نفقة أحد من الأصول والفروع، واستثنوا من ذلك الزوجة، ومن الفروع الولد الصغير، وعللوا ذلك بأنّ الزوجة تستحق النفقة باعتبار العقد، أما نفقة الأولاد الصغار فهم أجزاؤه، فمثلما لا تسقط عنه نفقة نفسه لعسرته، لا تسقط عنهم، وأما نفقة ما تبقى من الأقارب فتجب بطريق الصلة؛ ولا تجب حال الإعسار، كالزكاة.

القول الثاني: المالكية[3]، والحنابلة ذهبوا[4] إلى: سقوط نفقة الأصول والفروع وذوي الأرحام بالإعسار، فلا تجب على المعسر نفقة أحد، لأنّ نفقة الأقارب مواساة، ومعروف، بخلاف الزوجة فهي معاوضة، فتجب عليه ولو كان معسرًا، واستدلوا بقوله تعالى: {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا}.(الطلاق: 7)

القول الثالث: ذهب الشافعية: إلى أنه لا تجب نفقة القريب من الأصول، والفروع،

1. الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن 23 /456.
2. السرخسي، المبسوط 5 /224.
3. القرافي، الذخيرة 6 /81.
4. ابن قدامة، الكافي في فقه الإمام أحمد 3 /229.

وذوي الأرحام إلا على الموسر أو المكتسب بما فضل عن حاجته، وقوته، وقوت عياله، لقول النبي، صلى الله عليه وسلم: (إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فَقِيرًا فَلْيَبْدَأْ بِنَفْسِهِ، فَإِنْ كَانَ فَضْلًا فَعَلَى عِيَالِهِ، فَإِنْ كَانَ فَضْلًا فَعَلَى قَرَابَتِهِ، أَوْ عَلَى ذِي رَحِمِهِ، فَإِنْ كَانَ فَضْلًا فَهَا هُنَا، وَهَا هُنَا)[1] فإن لم يكن فضل غير ما ينفق على زوجته لم يلزمه نفقة القريب، فإن أعسر الأب بنفقة أولاده، تحملها الأمهات، وإن أعسر الأبناء الذكور بنفقة الوالدين تحملها البنات، أما غير الأولاد، والوالدين من الإخوة، والأخوات، والأعمام، والعمات، والأخوال، والخالات؛ فلا يُلزمون، ولا ينتقل وجوبها إلى غير المنفق.[2]

أما في قانون الأحوال الشخصية المعمول به في المحافظات الفلسطينية الشمالية، فلم تسقط النفقة بالإعسار، فقد نصّ على فرض نفقة الزوجة حسب حال الزوج من اليسار أو الإعسار، وتزداد تبعًا لتغير حالته، على ألا تقل عن الحد الأدنى من القوت، والكسوة الضروريين للزوجة، وتلزم بتراضي الزوجين على قدر معين، أو بحكم قضائي[3].

كما أوجب نفقة الأولاد إذا كان الأب فقيرًا، أو قادرًا على الكسب، أو كان كسبه لا يزيد عن حاجته، أو لا يجد كسبًا، يكلف بالنفقة من تجب عليه عند عدم وجود الأب، وتكون دينًا عليه، يرجع بها إليه حال يساره.[4]

ونصّ على إلزام الأمّ الموسرة بنفقة علاج أبنائهما في حال إعسار الأب، وتثبت دينًا في ذمته، يرجع بها عليه حال يساره.[5]

1. سنن النسائي، كتاب البيوع، باب بيع المدبر، وصححه الألباني.
2. الماوردي، الإقناع في الفقه الشافعي ص 143 - 144. النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين 9 /83.
3. المادة: (70).
4. المادة: (171).
5. المادة: (170).

أما نفقة الوالدين الفقيرين، فنصّ على إلزام الولد بنفقتهما، حتى لو كان الولد فقيرًا غير قادر على الكسب، أو كان كسبه لا يزيد عن حاجته، وحاجة زوجته وأولاده، وذلك بضمهما إليه، وإطعامهما مع عائلته[1].

خامسًا - طلب التفريق للإعسار:

اختلف الفقهاء في جواز طلب الزوجة للتفريق بسبب الإعسار على النحو الآتي:

القول الأول: ذهب الحنفية [2] والظاهرية [3] إلى عدم جواز ذلك، وأنّ على الزوجة أنّ تصبر، ومن أدلتهم:

1 - أنّه حال العجز ألزم الزوج بما لا يقدر عليه، والنفقة تجب فيما يقدر عليه؛ لقوله تعالى: {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا}(الطلاق: 7).

ووجه الدلالة: أنّ الله أخبر أنّ من لم يقدر على النفقة لا يُكَلَّفُ بها، وأنّ التكليف زالَ عنه بالإعسار، وبالتالي لم يجز التفريق بينهما [4].

ويجاب عن استدلالهم في الآية الكريمة: أن طلب التفريق إنّما هو لدفع الضرر عن الزوجة، وليس لتكليفه بالإنفاق حال إعساره [5].

2 - واستدلوا بما ورد عن جابر بن عبد الله، (دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِبَابِهِ، لَمْ يُؤْذَنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، قَالَ: فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَدَخَلَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ، فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

1. المادة (172_ب).
2. السرخسي، المبسوط 5 /191.
3. ابن حزم، المحلى بالآثار 9 /260.
4. الجصاص، شرح مختصر الطحاوي 5/ 283.
5. زيدان، عبد الكريم، المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية 8 /479.

وَسَلَّمَ، جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ، وَاجِمًا سَاكِتًا، قَالَ: فَقَالَ: لَأَقُولَنَّ شَيْئًا أُضْحِكُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ[1]، سَأَلَتْنِي النَّفَقَةَ، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَوَجَأْتُ[2] عُنُقَهَا، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى، يَسْأَلْنَنِي النَّفَقَةَ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، كِلَاهُمَا يَقُولُ: تَسْأَلْنَ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا لَيْسَ عِنْدَهُ، فَقُلْنَ: وَاللهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ، ثُمَّ اعْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا).[3]

ووجه الدلالة من هذا الحديث الشريف: أنّه لو كان طلب التفريق للإعسار بالنفقة حقّ؛ ما ساغ لأبي بكر وعمر ضرب ابنتيهما؛ لمطالبتهما بالنفقة التي لم يستطع عليها صلى الله عليه وسلم.[4]

ويجاب عن هذا: أنّه لا دليل لهم في القصة؛ لأنّها خارجة عن محل النزاع بالكلية، وذلك لأنّ ضرب أبي بكر وعمر لم يكن لأنهنّ سألنّ الطلاق، أو الفسخ، ومعلوم أنّهنّ لا يسمحن بفراقه، فإنّ الله -تعالى- قد خيرهنّ، فاخترن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والدار الآخرة، ومعلوم أنّه صلى الله عليه وسلم، لا يفرط فيما يجب عليه من الإنفاق، فلعلهنَّ طلبن زيادة على ذلك.[5]

---

1. هي حبيبة بنت خارجة، زوج أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، ووالدة أم كلثوم ابنته، التي مات أبو بكر، وهي حامل بها، انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة 8 /80.
2. من مادة (وجأ)، أي: ضرب، وَجَأْتُ عُنُقَه وَجْأً: ضَرَبْتُهُ، انظر: ابن منظور، لسان العرب 1 /191.
3. صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية.
4. ابن حزم، المحلى بالآثار 9 /260، دار الفكر، بيروت، دون طبعة دون تاريخ.
5. السيد، سالم أبو مالك كمال، صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة 3 /403.

القول الثاني: ذهب المالكية[1] والشافعية[2] والحنابلة[3] إلى أنّه إذا أعسر الزوج بنفقة زوجته، ولم تصبر عليه، فلها طلب التفريق.

ومن أدلتهم:

1 - قوله تعالى: {فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ}(البقرة: 229)

ووجه الدلالة: أنّ الإمساك مع ترك النفقة ليس بمعروف، فيتعين التسريح بإحسان؛ لأنّ المخير بين أمرين إن عجز عن أحدهما، تعين عليه الآخر.[4]

2 - واستدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم: (أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ مَا تَرَكَ غِنًى، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، تَقُولُ المَرْأَةُ: إِمَّا أَنْ تُطْعِمَنِي، وَإِمَّا أَنْ تُطَلِّقَنِي).[5]

ووجه الدلالة: أنّه يفرّق بين الزوج والزوجة إذا أعسر الزوج، واختارت الزوجة الفرقة، ويُفهم ذلك من أنّه كانت تسأل المرأة إما طلاقها أو الإنفاق عليها.[6]

ونرجح قول الجمهور في أنّه إذا امتنع الزوج أو أعسر، ولم تصبر الزوجة فإنّ لها طلب التفريق؛ لأنّ الإمساك مع عدم الإنفاق يتنافى مع الإمساك بالمعروف في حال اختيار الزوجة عدم الصبر، ولو قلنا بما ذهب إليه الحنفية لأدى إلى تهاون بعض الأزواج في الإنفاق عليهنّ وماطلوهنّ، وفي ذلك إضرار بعدم النفقة عليهنّ، وإضرار في عدم تمكين الزوجة من الفرقة إن اختارت عدم الصبر، وهذا هو المعمول به في المحاكم الشرعية الفلسطينية، حيث إنّه إذ امتنع الزوج عن الإنفاق على زوجته بعد

1. الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير 2 /518.
2. النووي، المجموع شرح المهذب 18 /268.
3. ابن قدامة، الكافي في فقه الإمام أحمد 2 /135.
4. ابن مفلح، المبدع في شرح المقنع 7 /160.
5. صحيح البخاري، كتاب النفقات، باب وجوب النفقة على الأهل والعيال.
6. النووي، المجموع شرح المهذب 18 /268.

حصولها على حكم النفقة، فإن كان له مال، يُنفذ في ماله، وإن لم يكن له مال، ولم يبين حالته من الإعسار أو اليسار، أو أنّه موسر، ولكنّه ممتنع عن الإنفاق، فرق بينهما القاضي في الحال، وإذا ادعى أنّه عاجز، فإن لم يثبت ما ادّعاه فرق بينهما القاضي حالاً، وإن أثبت ادّعاءه أمهله مدة لا تقل عن شهر، ولا تزيد عن ثلاثة أشهر، فإن لم ينفق فرق بينهما، كما أنّ الزوج إذا كان غائبًا وله مال منقول أو غير منقول، يُفرض للزوجة النفقة من مال زوجها.(*)

الخلاصة:

الإعسار هو: عدم قدرة المنفق على الإنفاق على من يعولهم، أو عجزه عن الحد الأدنى من نفقة الكفاية، وتفرض على المعسر نفقة حسب حالته من اليسار أو الإعسار، والإعسار مقدر بالعجز عن نفقة الكفاية، ويخضع التقدير لسلطة القاضي التقديرية، واختلف الفقهاء في وجوب نفقة الزوجة مع إعسار الزوج، والراجح عدم سقوطها، كما اختلفوا في وجوب نفقة الأقارب مع إعسار المنفق، فمنهم من أسقطها، ومنهم من أوجبها.

* انظر المادة: (127) + (77). وانظر: داود، أحمد، القرارات الاستئنافية في الأحوال الشخصية 1 /307.

التميز التنظيمي

مسعى لكل المؤسسات الفاعلة

أ. محمد خليل جاد الله / مدير عام الشؤون الإدارية والمالية/ دار الإفتاء الفلسطينية

مقدمة:

معظم المنظمات والمؤسسات بأشكالها كافة، تسعى لتحقيق تميزها التنظيمي لتحافظ على وجودها وكيانها، في ضوء المنافسة الشديدة التي تواجهها في ظل عالم متسارع في النمو والتطور، وبخاصة بعد أن أصبح هذا العالم قرية صغيرة، وأصبحت فيه الأعمال أو النشاطات أو الخدمات واضحة ومعروفة للمواطن سواء أكانت مخرجات هذه المنظمات منتوجات أم خدمات تقدمها لزبائنها ومواطنيها، كيف لا وقد شهد العالم مؤخراً ثورة تكنولوجية هائلة غزت العديد من القطاعات، وأصبحت المنظمات ملزمة بالسعي نحو تحقيق تميز تنظيمي، يساعدها في مواكبة هذه الثورة وما نتج عنها من تغيرات وتطورات، أصبحت ضرورة لها من أجل استمرارها، وتمكنها من تحقيق أهدافها ورؤيتها الإستراتيجية .

مفهوم التميز التنظيمي:

تعددت تعريفات التميز التنظيمي، حسب اهتمام الباحثين والمنظرين في علوم الإدارة، ومجالات اختصاصهم، وبعد استعراض عدد منها، يمكن تعريف التميز التنظيمي بأنه: قدرة المنظمات والمؤسسات على الإبداع والتفوق التنظيمي، وتحقيق

مستويات أداء عالية، وصولاً لتحقيق أهدافها بصورة فعالة، وذلك من خلال تميزها في إستراتيجيتها وهيكلها التنظيمي، وقيادتها ومرؤوسيها، وثقافتها التنظيمية، وانعكاس ذلك على تحقيق التميز في تقديم الخدمة الملقاة على عاتقها.

أبعاد التميز التنظيمي:

في الوقت الذي تنوعت فيه تعريفات التميز التنظيمي لدى الباحثين، فقد تتنوع أبعاده، ولذلك تمت مراجعة مجموعة من الدراسات السابقة التي اهتمت بهذا المفهوم، وذلك بهدف التعرف إلى أبرز أبعاد التميز التنظيمي، وأهمها التي تم التطرق إليها، وذلك على النحو الآتي:

1. **تميز الإستراتيجية:** يركز بُعد تميز الإستراتيجية على أن تكون مجموعة الأهداف الموضوعة قابلة لتحقيق أهداف المؤسسة، ضمن إمكاناتها المتوافرة، وبما يحقق التطور والنمو والاستمرار، مع تبنّي مبدأ التحسين والتطوير المستمرين لموارد المؤسسة، وضرورة مراجعة سياسات المؤسسة، وتحديد درجة توافقها مع الخطط الإستراتيجية، والاهتمام بتحقيق درجة مرتفعة من رضا العاملين، والمستفيدين على السواء[*].

2. **تميز الهيكل التنظيمي**: نظراً لأهمية تقسيم العمل داخل المؤسسات، يتم تصميم هيكل تنظيمي ناظم للأعمال، يتم من خلاله تحديد أهداف المؤسسة. ويعرف مفهوم تميز الهيكل التنظيمي بمدى "ترابط وحدات العمل المختلفة مع بعضها بعضاً، حيث تصبح قادرة على إنجاز العمل بكفاءة، والذي يحدد شكل المؤسسة،

* سليمان، حنان (2017). التمكين الإداري المدرسي كآلية لتحقيق التميز التنظيمي بالتعلم العام المصري: سيناريوهات بديلة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، القاهرة.المجلة التربوية، الكويت، مج25، ع(98).

ويساعد في عملية تحليل العمليات والأنشطة، بما يرفع من مستوى الإنتاجية والكفاءة الاقتصادية، ويتعداه إلى تحقيق درجة مرتفعة من الرضا الوظيفي، مما يشجع فريق العمل على المشاركة الفاعلة، الذي يخلق نوعاً من الاستقلالية لدى العاملين، ويعمل على رفع مستوى الأداء المتميز.

3. **تميز القيادة**: تؤدي القيادة الدور الفاعل في تحقيق التميز التنظيمي، إذ يبرز دور القائد في مدى تأثيره في الموظفين للوصول إلى التميز في الأداء، وذلك من خلال العمل على تنمية قدرات الموظفين وتشجيعهم نحو الإبداع والابتكار، ويتحقق ذلك عبر تبنّي الأنماط القيادية الأكثر فعالية، مع تفعيل علاقات عمل جاذبة، وتشجيع المنافسة والنقد البنّاء بين العاملين لابتكار أفكار جديدة وملائمة، مع تبنّي سياسة الباب المفتوح (الاتصال الأفقي)، ودعم عمليات الاتصال والتواصل بين العاملين جميعهم، وعلى اختلاف مستوياتهم الوظيفية.

وتبرز أهمية التزام القيادة بتوضيح رؤية المؤسسة ورسالتها، والمهارات القيادية والسلوكات الضرورية للانتقال من النظام التقليدي إلى التميز المؤسسي.

4. **تميز المرؤوسين**: تنبع أهمية الموارد البشرية في المؤسسات بدرجة كبيرة، كونهم العنصر الفاعل والمطبق للأهداف والخطط الإستراتيجية الموضوعة، إذ إن تلك المؤسسات بحاجة إلى موظفين من ذوي الكفاءة والمهارات العالية، والذين ينفذون القرارات الإدارية المتخذة على أكمل وجه، بما يحقق أهداف المؤسسة، للوصول إلى النجاح والتميز. وتبرز أهمية تطوير فريق العمل بشكل مستمر للتمكن من جعل المؤسسة أكثر تميزاً في الأداء، وبالتالي فإن تميز المرؤوسين يعني قدرتهم

على أداء الأعمال والأنشطة بأقصى درجة من الفعالية والكفاءة[1].

5. **تميز الثقافة التنظيمية:** تقوم المؤسسات بتطوير ثقافتها الخاصة بها، ويتم ذلك من خلال تاريخها وفلسفتها التي تتبناها خلال فترة حياتها، إذ تعمل على تحديد مجموعة من القيم والمعتقدات التي تسودها، فهي تتأثر وتؤثر في ثقافة المجتمع والبيئة المحلية. وبناء عليه، نجد أنه من الأهمية التعرف إلى مفهوم الثقافة، وهو ذلك **"النسيج الكلي المعقد، الذي قام الإنسان بصنعه، متمثلاً في مجموعة من الأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد والقيم، وأساليب التفكير وأنماط السلوك، وطرق معيشة الأفراد وقصصهم وألعابهم، ووسائل الاتصال والانتقال، وكل ما توارثه الإنسان وأضافه إلى تراثه"**[2].

أما الثقافة التنظيمية، فقد عرفها[3] بأنها "منظومة من القيم والتقاليد والقواعد التي يشترك فيها كل أعضاء التنظيم، حيث إن لكل منظمة ثقافة خاصة تُعبّر عن شخصيتها". في حين أشار بعض المتخصصين إلى أن الثقافة التنظيمية تكمن في "قدرة المنظمة على إنتاج مجموعة بشرية بما تحمله من علاقات تبعية وقيادة وعلاقات غير متساوية، تكون مقبولة من قبل أعضائها جميعهم، حيث يستطيعون تحقيق الهدف المشترك من جهة، وإعادة إنتاج هذه المجموعة من جهة ثانية"[4].

1. العمري، محمد (2017). أثر التغيير التنظيمي على التميز التنظيمي: دراسة تطبيقية في القطاع الخاص السعودي، المجلة العربية للإدارة، مج37، ع(4): 113-148.

2. عاشوري، ابتسام (2015). الالتزام التنظيمي داخل المؤسسة وعلاقته بالثقافة التنظيمية: دراسة ميدانية بمؤسسة ديوان الترقية والتسيير العقاري بمدينة الجلفة – المديرية العامة، رسالة ماجستير غير منشورة في علم الاجتماع، تخصص تنظيم وعمل، جامعة محمد خيضر – بسكرة، الجزائر.

3. ياسين، سعد (2010). الإدارة الإستراتيجية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

4. بوراس، نور الدين (2014). دور القيادة الإدارية في تنمية الثقافة التنظيمية لدى العاملين: دراسة ميدانية بالمركب المنجمي للفوسفات جبل العنق بئر العاتر تبسة، رسالة ماجستير غير منشورة، علم الاجتماع، جامعة محمد خيضر – بسكرة، الجزائر.

وعليه يمكن تعريف بُعد تميز الثقافة التنظيمية بأنه: المبادئ والقيم والتقاليد والقواعد المشتركة في المؤسسة التي تحكم وتضبط سلوكات الموظفين وتصرفاتهم أثناء قيامهم بتأدية مهماتهم الوظيفية، حيث تساهم في خلق بيئة عمل محفزة لتحقيق الأهداف المنشودة.

6. **تميز تقديم الخدمة:** يسعى القائمون على تقديم الخدمات إلى تحقيق أعلى درجة من الرضا لدى المستفيدين من تلك الخدمات، ولتحقيق ذلك يجب أن تتسم تلك الخدمات المقدمة بالتميز عن باقي الخدمات المعروضة، والبدائل المتاحة لديهم. وتبرز عناصر تميز الخدمة في كل من عدم القابلية للتقليد، وقدرة المستفيد على دفع قيمة الخدمة، ووضوح المنفعة المتحققة[1].

كما تعرّف بأنها: "تقديم قيمة مضافة مدركة للخدمات، على أن تكون أكبر من خدمات المنافسين، أو خدمات بأسعار المنافسين نفسها، أو أكثر من أسعار خدماتهم، والهدف منها تحقيق حصة سوقية أكبر، وبالتالي حجم أكبر من المبيعات، وذلك من خلال تقديم خدمات أفضل نوعية بالسعر نفسه، أو بأسعار غير مرتفعة، قياساً إلى المنتجين الآخرين"[2].

وقد نعرِّف بُعد تميز تقديم الخدمة بأنه: سعي المنظمات نحو تقديم أفضل مستويات خدمة للمراجعين وإشباع حاجاتهم ورغباتهم، لتحقيق أعلى درجة ممكنة من الرضا لديهم.

---

1. تركي، فايزة ونسيم، فرحات (2017). دور تطوير الخدمة في تحديد مستوى رضا الزبون: دراسة حالة مؤسسة اتصالات الجزائر – تبسة – رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة تبسة، الجزائر.
2. مرغادي، آمال وبووشمة، حليمة (2018). إستراتيجية تمييز الخدمة المصرفية كآلية لكسب رضا الزبائن: دراسة حالة بنك الفلاحة والتنمية الريفية وكالة تبسة 488، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة العربي التبسي – تبسة، الجزائر.

التميز التنظيمي في الإسلام:

جاء الإسلام بمنهجية إدارية متميزة، ألزم بها أتباعه، وإذا ما تم التدبر في آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، يتبين أن المنهجية الإدارية، وما تضمنته من مبادىء تُسهم - وبشكل واضح - في تحقيق التميز التنظيمي، بل تعين على تحقيقه، ومن جوانب هذه المنهجية على سبيل المثال لا الحصر:

1 - مبادئ القيادة الفعالة ذات التأثير الإيجابي في المرؤوسين والأتباع، كما قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (آل عمران: 159)

وتتضح تلك المبادئ، وتتأكد في كثير من المواقف المقتبسة من سيرة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، التي منها:

• حسن التعامل مع المرؤوسين وترغيبه عليه الصلاة والسلام وحثه على اللين، والتعامل الحسن، ونهيه عن التسلط، وسوء المعاملة معهم، ويدل على ذلك وصيته عليه الصلاة والسلام لأبي موسى ومعاذ، رضي الله عنهما، عندما بعثهما إلى اليمن وقوله: (يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا).[1]

• الإدارة الجماعية القائمة على المشاورة والمشاركة، ويظهر ذلك جلياً في أحداث غزوة بدر، حيث شاور النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال: (أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ)[2]، ومن ثم حواره مع الحبّاب بن المنذر عن مكان المبيت، وتأكيده على رأيه.

• تطبيقه صلى الله عليه وسلم، للتفويض الفعال، وتوزيع المسئوليات كتفويضه

1. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه.
2. الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، 14 /411.

لعلي بن أبي طالب وعثمان بن عفان، رضي الله عنهما، في كتابة الوحي، وتفويضه لزيد بن ثابت، رضي الله عنه، في كتابة الرسائل إلى الملوك والزعماء.

• اهتمام النبي، صلى الله عليه وسلم، بفن التشجيع والتحفيز لأتباعه ومرؤوسيه، ومن أمثلة ذلك؛ الأوصاف المتميزة التي أطلقها على الصحابة، حيث لقب أبا بكر، رضي الله عنه، بالصّديق، وعمر بن الخطاب، رضي الله عنه، بالفاروق، وحمزة بن عبد المطلب، رضي الله عنه، بأسد الله، وخالد بن الوليد، رضي الله عنه، بسيف الله المسلول.

2 - تثبيت كثير من قيم العمل النبيلة وأخلاقه، ومنها:

• العدالة والموضوعية، وتعني الحياد التام في توظيف المعلومات في العمليات الإدارية، وعدم التحيز في تطبيقها، أو تفسيرها تبعاً لمصالح شخصية. ويظهر ذلك من قوله تعالى: {اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} (المائدة:8)

• المسؤولية التي تتضمن المسؤولية الإنسانية والأخلاقية، فضلاً عن المسؤولية العقائدية، وهي المسؤولية المشتركة. فقد قال صلى الله عليه وسلم: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)(*)، فالقائد مسؤول ومساءل عن كل ما يقوم به موظفوه، كما أن الموظف مسؤول عن كل ما هو مكلف به من مهمات وظيفية وواجبات.

• الصدق، ويعني الحقيقة والواقع الذي لا يشوبه شك في معلومات معينة، يجري نقلها من شخص لآخر داخل التنظيم الإداري، وقد حرص الإسلام على ذلك، إذ يقول المولى عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} (التوبة: 119)

• الأمانة، وهي خلق سامٍ، يترفع بها الإنسان عما ليس له حق فيه، وقد وصف الله

* صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب المرأة راعية في بيت زوجها.

تعالى المؤمنين، فقال جل جلاله: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ} (المؤمنون: 8)

ومن صور الأمانة في الإسلام، التي يمثلها قول الرسول، صلى الله عيه وسلم: (يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا)(*)

فأكد عليه الصلاة والسلام على أنّ الأمانة في التوظيف، واختيار الأكفأ من ضرورات الإدارة الناجحة في الإسلام.

الخاتمة:

في الوقت الذي ترى فيه المنظمة أو المؤسسة أهمية بالغة لتحقيق تميزها التنظيمي بأبعاده المختلفة، إلا أننا نجد القليل منها يستطيع أن يحقق هذا التميز، ويحافظ عليه، وبخاصة في هذا العصر سريع التطور، والانفتاح، والمنافسة الشديدة، التي تعيشها، لا سيما في القطاع الخاص الذي بات فيه التميز مبدأ أساسياً لبقاء هذه المنظمات واستمرارها، والمحافظة على وجودها وجودة خدماتها ومنتوجاتها ... وعليه فلا بد لهذه المنظمات والمؤسسات من بذل كل جهد ممكن، كيْ تبقى متميزة تنظيمياً؛ لما لذلك من أبعاد حيوية ومهمة لوجودها واستمرارها، وما التميز التنظيمي الذي أرسى مبادئه وقيمه ديننا الحنيف، إلا دليل واضح على أهمية الأخذ بهذه الأسس والمبادئ والقيم النبيلة التي يجب أن تكون طريقنا الأمثل في قيادتنا لمنظماتنا ومؤسساتنا، لنحظى بتميز تنظيمي قادر على تحقيق أعلى مستويات من الأداء الفعال وصولاً لتحقيق الرؤى والأهداف المنشودة .

* صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة.

وصية أعرابية

أ. كمال بواطنة / مدير دائرة الكتب التربوية سابقاً

الوصية ما يوجّهه إنسان لآخر في مناسبة ما، مثل السفر، والزواج، ودنو الأجل... وفيها خلاصة تجاربه في الحياة، وحرص الموصي على أن يتمثّل الموصى تجاربه، وهي تحضّ على خير، وتنهى عن شرّ، والعاقل يقبل الوصية من غيره من أولي الأحلام والنهى، وإذا كانت الوصية من أمّه أو أبيه كان لها القبول، وبخاصّة أنّه لا يشكّ أحد في حرصهما على مصالحه، ولا ينتظران منه جزاء.

ومن الوصايا التي شدّتني وصية أعرابيّة لابنها، الذي يريد سفراً أوصته بما ينفعه في سفره، وشاء الله أن يسمع الوصية أحد عبّاد البصرة، وهو أبان بن تغلب، المتوفى عام(141) من الهجرة، فنقلها لنا، وهذا يدلّ على حرص العارفين على نفع الناس، وإبلاغهم ما يصلح لهم دينهم ودنياهم. يقول أبان: (شهدت أعرابية، وهي توصي ولداً لها يريد سفراً، وهي تقول له: (أي بنيّ؛ اجلس أمنحك وصيتي، وبالله تعالى توفيقك؛ فإنّ الوصية أجدى عليك من كثير عقلك - قال أبان: فوقفت مستمعاً لكلامها، مُستحسناً وصيتها فإذا هي تقول - أي بنيّ، إياك والنميمة؛ فإنّها تزرع الضغينة، وتفرّق بين المحبين، وإيّاك والتعرّض للعيوب، فتتخذ غرضاً، وخليق ألا يثبت الغرض على

كثرة السهام، وقلّ ما اعتورت السهام هدفاً إلا كَلمته حتّى يهيَ ما اشتدّ من قوّته، وإيّاك والجود بدينك، والبخل بمالك، وإذا هززت، فاهزز كريماً يلين لهزّتك، ولا تهزز اللئيم؛ فإنّه صخرة لا ينفجر ماؤها، ومثّل لنفسك أمثال ما استحسنت من غيرك، فاعمل به، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه؛ فإنّ المرء لا يرى عيب نفسه، ومن كانت مودّته بِشْرَهُ، وخالف ذلك، فعله كان صديقه منه على مِثل الريح في تصرّفها).

ثمّ أمسكت، فدنوت منها، فقلت: بالله يا أعرابيّة، ألا زدتيه في الوصية! قالت: أو قد أعجبك كلام الأعراب يا عراقيّ؟ قلت: بلى. قالت: (والغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم، ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحلّة ريطتها وسربالها)[*].

هذه الوصية تنمّ عن عقل تلك الأعرابيّة ودينها وخلقها، والأعراب فيهم البلغاء الفصحاء، العقلاء من أهل المروءة والدين، والإسلام هذّب أخلاق العرب: باديهم وحاضرهم، وأعلى من شأن المرأة، فجعلها تخرج الإشراقات الإيمانية والأخلاقية، ويكون لها الدور المحمود في صنع الحضارة، وهذه الأعرابيّة خير مثال، فمع أنّها من أهل البوادي، إلا أنّ وصيتها تدلّ على خبرة بالحياة والأحياء، وتحلٍّ بالأخلاق السامية. ولا بأس أن نتوقّف مع هذه الوصية الطيّبة، وما حذرّت منه من أخلاق سيئة، وما حثّت عليه من أخلاق فاضلة، والأخلاق لا تحدّها حدود؛ فهي تعيش مع الناس في الأزمنة والأمكنة كلّها.

* أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، 3 /244.

إياك والنميمة!

أوّل خلق سيّئ حذّرت منه الإعرابية ابنها النميمة، والتي تعني نقل الكلام بين الناس بقصد الوقيعة والإفساد بينهم، والنّمام لئيم النفس، يكره الناس، ولا يطيق أن يرى متصافيين، فلا يطيق أن يرى زوجين مؤتلفين، أو صديقين متحابين، أو شريكين متفقين...، ولا يرقأ له جفن حتّى يوقع بينهما، فهو يزرع الضغائن، ويفرّق بين المحبين.

والنميمة في الإسلام خلق شنيع، وعقابه عند الله عظيم، ويكفينا هدي نبيّنا، صلّى الله عليه وسلّم، رادعاً، فقد قال: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ)(*)؛ ذلك أنّ جرمه كبير، وهو عامل زعزعة لأمن المجتمع، ولك أن تنظر إلى نتائج النميمة المدمّرة على المجتمع، وكيف تفرّق، وتنمّي الضغائن.

إيّاك والتعرّض للعيوب!

الخلق السيّئ الثاني الذي حذّرت منه ولدها، التعرّض لعيوب الناس، وهذه آفة خطيرة حين يتّخذ المرء الناس غرضاً، فيذكر عيوبهم، وما ينتج عن ذلك من أحقاد وكراهية، وتبادل ذكر العيوب، فمن ذكر عيوب الناس، ذكر الناس له عيوباً، وإن لم تكن له عيوب، ومن سكت عن عيوب الناس، لم يذكر الناس له عيوباً، وإن كانت له عيوبه مثل الجبال، والمرء إذا أكثر من ذكر عيب الناس، أكثر الناس من ذكر عيوبه، وغدا غرضاً لهم، وهيهات ألا تصيب السهام الكثيرة هدفاً واحداً!

إيّاك والجود بدينك والبخل بمالك!

هنا نراها تحذّر من أمر خطير، يقع فيه كثير من الناس، وهو التفريط بالدين

* صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة.

والمبدأ من أجل مصالح دنيويّة، مع أنّ الدين أغلى ما يملك المرء، فالدين خطّ أحمر، وكثير من الناس إن كان في موقف بين ضياع الدين، وضياع المال، أضاع الدين، وقد رأينا كثيراً من أهل التديّن انسلخوا من الدين في بلاد غير المسلمين، عندما رأوا المال والفتنة.

إذا هززت فاهزز كريماً

الحياة تتقلّب بالمرء من حال إلى حال، وبخاصّة في بلاد الغربة، والمرء قد يحتاج إلى الناس، فيضطر إلى اللجوء إلى ما يفكّ كربته، وترى أين يتجه المرء في هذه الحال؟ عليه أن يقصد السمح الكريم، الذي يستجيب، ويلبّي ويجود، ويجد متعة في العطاء، وهو مثل النبع يسقي ويسقي، ويرى أنّ سائله له عليه الفضل، فلولا أنّه توسّم فيه الخير، وظنّه أهلاً لقضاء حاجته ما ذهب إليه، على عكس اللئيم، وهو البخيل، فهو صخرة صلبة لا ينفجر منها ماء، ومن الخير ألا تذلّ نفسك فتقصده.

ومثّل لنفسك ما استحسنت من غيرك...

المرء، في الغالب، لا يرى عيوبه، وإنّما يرى عيوب الناس، ويغفل عن عيوبه، والعاقل ينظر في أخلاق الناس، فما استحسن منها أخذه، وعمل به، وما استقبح من عيوبهم تركه، وكم ستكون أخلاق الناس مرضيّة لو كانوا على هذه الشاكلة! (وحق على العاقل أن يتخذ مرآتين؛ فينظر في إحداهما إلى مساوئ نفسه، فيتصاغر بها، ويصلح ما استطاع منها، وينظر في الأخرى في محاسن الناس، فيحليهم بها، ويأخذ ما استطاع منها)[*]، ولعلّ من آفات الناس في عصرنا أنّ الواحد منهم يرى القذى في عين أخيه، ولا يرى الوتد في عينه.

* عبد الله بن المقفع، الأدب الصغير والأدب الكبير، 1 /43.

ومن كانت مودّته بِشره...

بعض الناس مخادع، ومثل هذا النَّمط مكشوف، وإن ظنّ أنّه يدلّس على الناس، وما أسهل أن يعرفه الناس من خلال التعامل، ففعله يخالف قوله، وكذلك ما يظهر من تكلّفه، ومن هنا ترى من يصاحبه يكون منه على وجل، ومثل الريح في تقلبها، وهيهات أن يطمئنّ إليه، وهذا درس لكلّ مخادع، فلا يستطيع مخادع أن يخدع الناس جميعهم الوقت كله.

الغدر أقبح ما تعامل الناس به بينهم

عندما أعجب أبان بن تغلب بما سمعه من الوصية، ووجد الأعرابية أمسكت، دنا منها، وطلب المزيد؛ ليستزيد هو من الخير، فحذّرت من صفة ذميمة، وهي الغدر، وما أشنع هذه الصفة لمن تلبّس بها! ويا ويله من كان ذئبَ ختلٍ (غدرٍ وخداع)، يظهر المودّة، ويبطن الغدر، يتحدّث إلى من يحدّثه، ويكون له مصدّق وهو كاذب، ويدخل بيت من يصاحبه، وهو يضمر الغدر، ويشارك غيره وهو ينوي الغدر، والغادر فضيحته يوم البعث كبيرة، فيروي عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، عن النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، قوله: (إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ)[*] وهذا جزاء عادل يوم يفضح على رؤوس الأشهاد.

* صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر.

من جمع الحلم والسخاء...

في مسك ختام الوصية، ذكّرت ابنها بخلقين حميدين، هما الحِلم والسخاء، ومن اتّصف بالحلم صبر على جهل الجاهل، وعلى سفه السفيه، وظلّ ثابتاً كالطود العظيم أمام من يستفزّه، وقد امتدح نبيّنا، صلّى الله عليه وسلّم، الحلم، وبيّن أنّه من الصفات التي يحبّها الله، فقال: لأشجّ عبد القيس، رضي الله عنه: (إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ).(*)

والسخاء من الصفات التي يحبّها الله، والسخيّ محبوب وقريب من الله، ومن الناس، وقريب من الجنة، والناس يحبّون سخيّ النفس، الذي يجود، ولا يخشى من ذي العرش إقلالاً، فتراه يقيل العثرة، ويكسب المعدوم، ويغيث المستغيث، ويقري الضيف، ويعين في النوائب...

وحقيقة الأمر، فإنّ من جمع بين الحلم والأناة، كأنّما لبس الحلّة السابغة، ما ظهر منها وما خفي، والريطة في لغة العرب الملاءة، وهي ما نسميها العباءة، والسربال ما يلبس من قميص ونحوه، ويكون تحت العباءة.

جميل بنا أن نأخذ بهذه الوصية، وبوصايا الخير، التي وردت في كتاب الله وسنة نبيّه، صلى الله عليه وسلم، وبما وصلنا من أخلاق أهل التقى والورع، ففي ذلك الخير الكثير، وحقيقة الأمر أنّ أزمتنا في هذا الزمان أزمة أخلاقية، وبصلاح أخلاقنا تصلح أحوالنا، بعون الله وتوفيقه.

* صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه.

مضرب الأمثال

أ. هالة عقل / رئيس قسم المطبوعات/ دار الإفتاء الفلسطينية

مثل الرسول، صلى الله عليه وسلم، والمسلمين في التوراة والإنجيل:

قال تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيماً} (الفتح: 29)

يصف الله تعالى رسوله محمداً، صلى الله عليه وسلم، وصحبه، رضي الله عنهم، في هذه الآية الكريمة بصفات عظيمة ذات صلة وثيقة بنسيج علاقاتهم المتينة فيما بينهم، وغاياتهم البعيدة على صعيد العمل لله، ذاكراً مثلهم فِي التَّوْرَاةِ والْإِنجِيلِ، فالله تعالى أرسل رسوله، صلى الله عليه وسلم، بدينه الحق، فآمن معه الأصحاب وناصروه، ثم الأتباع، ثم خلف بعد آخر، ويجدر التأمل بالمنهج الذي رسمه صلى الله عليه وسلم، للمسلمين، الذي تنتظم فيه شؤون حياتهم الدنيا، وطريقهم للنجاة، والفوز بالآخرة، فأرسى قواعد العلاقة بينهم، على أساس الشدة على الأعداء، والتراحم فيما بينهم.

معاني مفردات الآية:

- **سيماهم**: السومة والسيمة والسيماء والسيمياء: العلامة. وسوم الفرس: جعل عليه السيمة...[1]

- **شطأ**: الشطء: فرخ الزرع والنخل. وقيل: هو ورق الزرع. وفي التنزيل: {كزرع أخرج شطأه}؛ أي طرفه، وجمعُه شطوء. وقال الفراء: شطؤه السنبل تنبت الحبة عشراً وثمانياً وسبعاً، فيقوى بعضه ببعض، فذلك قوله تعالى: فآزره أي فأعانه. وقال الزجاج: أخرج شطأه أخرج نباته: وقال ابن الأعرابي: شطأه: فراخه [2].

تفسير الآية:

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية أن الله تعالى يُخْبِرُ عَنْ سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، أنه رسوله حقاً، وبلا شكٍّ ولا رَيْبٍ، فَقَال: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ}، وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى كُلِّ وَصْفٍ جَمِيلٍ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: {وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}، وهذه صفة المؤمنين، أن يكون أحدهم شديداً عنيفاً على الكفار، رحيماً براً بالأخيار، غضوباً عبوساً في وجه الكافر، ضحوكاً بشوشاً في وجه أخيه المؤمن،قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)[3]

وقال أيضاً: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ)[4]

1. لسان العرب: 12/ 312.
2. لسان العرب: 1 /100.
3. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.
4. صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره.

وَقَوْلُه: {تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا} وصفهم بكثرة العمل، وكثرة الصلاة، وهي خير الأعمال، ووصفهم بالإخلاص فيها لله عز وجل، والاحتساب عند الله، جزيل الثواب، وهو الجنة، المشتملة على فضل الله، وهو سعة الرزق عليهم، ورضاه تعالى عنهم، وهو أكبر من الأول، ومن هنا جاءت العلامة التي في وجوههم من كثرة السجود والخشوع والتواضع، قال تعالى: {سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ}، قال السدي: الصلاة تحسن وجوههم، قال بعض السلف: من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار، وروي عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أنه قال: من أصلح سريرته أصلح الله علانيته.

فالصحابة، رضي الله عنهم، خلصت نياتهم، وحسنت أعمالهم، فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم.

{ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ} قال مالك، رحمه الله: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: "والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا" وصدقوا في ذلك، فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقد نوه الله بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة، فهم {كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ} أي: كزرع أخرج فراخه، فشد بعضه بعضاً، وشب وطال.

{فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ} أي أن أصحاب محمد، صلى الله عليه وسلم، آزروه، وأيدوه، ونصروه، فهم معه كالشطء مع الزرع، فأغاظوا الكفار، ونالوا وعد الله بمغفرة ذنوبهم، والثواب الجزيل، والرزق الكريم، ووعد الله

حق وصدق، لا يخلف ولا يبدل، وكل من اقتفى أثر الصحابة فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد، وجعل جنات الفردوس مأواهم، قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيماً}(*)

ما ترشد إليه الآية:

- هذه الآية هي الأخيرة من سورة الفتح، وهي من السور العظيمة التي جاءت تسلية للصحابة، رضي الله عنهم، ومبشّرة لهم على إثر صلح الحديبية الذي كان في ظاهره ضعفاً للمسلمين؛ ورضوا بشروط قاسية اشترطتها قريش عليهم، وقبلها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بوحي من الله تعالى.

- ثناء رب العزة على النبي، صلى الله عليه وسلم، وعلى صحابته، رضي الله عنهم، مبيّناً أوصافهم التي استحقوا بها معية رسولهم الكريم، صلى الله عليه وسلم، وهي: أن فيهم غلظة وغضباً لله ولدينه، وهم رحماء على المسلمين، كما أنهم مقيمون للصلاة، لذا تظهر علامة السجود في أبدانهم وأخلاقهم. فليسوا بجبارين ولا مستكبرين

- ضرب الله لهم مثلاً لنصرتهم ومؤازرتهم للرسول، صلى الله عليه وسلم، ووحدتهم فشبهها بفراخ الزرع أو فسائله؛ التي تشدّ من أزر ساق الشجرة الأصلية، فكذلك الصحابة مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قاموا بالدين معه، في ذلك قوة لهذا الدين، ثم بين سبحانه أن هذه القوة والوحدة والتناصر بين المسلمين فيها إغاظة للكفار.

* تفسير ابن كثير بتصرف: 7/ 360 - 364.

الخاتمة:

أخلاق الإسلام وقيمه تنظم علاقة المسلم بإخوانه، وتحفظ الود بينهم، وتقوي أواصر علاقاتهم ببعض، وتنزع فتيل النزاع والشقاق من واقعهم، لتقوم علاقاتهم مع بعضهم بعضاً على أساس الأخوة، التي يكون عمادها الحب والوئام، والانتصار لبعض، والحرص على حفظ دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فالآية أعلاه تسطر وصفاً دقيقاً متميزاً للرسول محمد، صلى الله عليه وسلم، والذين معه، لتكون نبراساً دائماً للمؤمنين برسالة الإسلام، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولتكون كذلك معياراً للثلة المؤمنة في كل مكان وحين، يشخصون بالاستناد إليها حال المؤمنين في الظروف كلها، من حيث الصواب والخطأ، والاستقامة والانحراف، فهي أجملت معايير تشخيص حال المؤمنين في سلمهم وحربهم، وقوتهم وضعفهم، وعلاقتهم مع ربهم، ومع ذواتهم، ومع بعضهم بعضاً، ومع الآخرين.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه واستن بسنته إلى يوم الدين.

اقرأ وتذكر

أ. إيمان تايه / رئيس قسم النشر والتوزيع/ دار الإفتاء الفلسطينية

خذ ولا تستهن

* خذ من أبيك نصيحة، وافهم بها دنياك، وخذ من أمّك دعوة، واقهر بها بلواك، وخذ من وقتك سجدة، واشكر بها مولاك.

* لا تستهن بأية خطوة، ولو كانت صغيرة، فكلّ شجرة كانت حبّة، وكلّ إنجاز كان فكرة.

لو خاف ورغب

مسكين ابن آدم، لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعاً، ولو رغب في الجنة كما رغب في الدنيا لفاز بهما جميعاً، ولو خاف اللّه في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعاً.

حكمة تجاهلهم

خمسة تجاهلهم ولا حَرَج:

شخص يرى مصيبتَه ابتلاءً ومصيبتَك عقوبة

شخص يرى خطأه اجتهاداً يؤجَر عليه، وخطأك ذنباً تعاقَب عليه

شخص أخطأ بحقك، وينتظر اعتذارك، وشخص عفوتَ عنه، فظنك تخافه

شخص تغافلتَ عن إساءاته، فظنك مغفلاً

الخلل ليس في الجسد، ولكنه في القلب ؟!

* يحرص كثيرون على أن يستيقظ أبناؤهم للمدرسة مبَكِّرين خلال مسيرتهم الدراسية، ويفشل بأن يوقظهم لصلاة الفجر، بل قد يفشل في إيقاظ نفسه، فإن مشكلته ليست أنه لا يستطيع الاستيقاظ مبكراً، بل إن قلبه لا يستطيع أن يصحو لله، ولكنه يصحو لأمور الدنيا !!

* يجلس أحدهم الساعات الطوال ليطالع أخبار الدنيا، وقيل وقال، ويعجز عن الجلوس نصف ساعة لقراءة القرآن، ومجالس الذكر .

* تحفظ دروسك جيداً، وتذهب للامتحان، وتنسى في الطريق أنك قد تموت لتُمتحن بمادّه أخرى، قصَّرت بها طوال حياتك، وقد ولدت لأجلها، ألا وهي طاعة الله.

* يقف أحدهم للعمل ساعات طويلة، فإن جسده يتحمل .. وحينما يصلي .. يقرأ قصار السور لينهي الصلاة .. مع أنّ جسده قادر على أن يقف ويصلي، لكن قلبه ليس بقادر

المشكلة في النهاية: ليست أننا لا نستطيع، فنحن مكلفون بما نستطيع، لكن قلوبنا لا تستطيع، فالتعلق بالحياة قد أفسدها.

الابن يتبع خطوات أبيه

قال أب لابنه: انتبه أين تضع قدميك وأنت تمشي ...فأجابه ابنه: احذر أنت يا أبي، فأنا أتبع خطواتك..أصلح حالك يتبعك أبناؤك.

خطورة الكلمة

ادعت امرأة المرة تلو الأخرى أن جارها لص، وفي النهاية تم توقيف جارها الشاب، وبعد مضي أيام أُثبتت براءته، وأطلق سراحه، وفي الوقت نفسه أرسلت المرأة إلى المحكمة.

فقالت المرأة للقاضي: إن الكلمات لا تؤذي أحداً، فردَّ عليها القاضي هكذا إذاً، وتابع قائلًا: حينما تعودين اليوم إلى البيت، اكتبي على ورقة الصفات السيئة التي قُلْتِها عن الشاب؛ ثم مزقي الورقة، وارميها على طول الطريق، وتعالي في الغد لتسمعي الحكم.

نفذت المرأة طلبه، وعادت في اليوم التالي، قال لها القاضي، سيتم العفو عنك، إذا استطعت جمع قصاصات الورقة التي كتبتِها بالأمس، وإلا سيحكم عليك بالسجن لمدة عام.

أجابت المرأة: لكن هذا مستحيل! فقد أخذتها الريح بعيداً، فرد القاضي: بالتأكيد.. ! تماماً مثل الملاحظه البسيطة التي حملتها الريح، ودمرت سمعة الرجل؛ التي لا يمكن إصلاح الضرر الناتج عنها، وعليه أصدر حكمه بسجن المرأة

على المرء أن يدرك أثر الكلمة التي يقولها، ومدى تأثيرها على الآخرين، فالكلمات كالرصاص، لا نستطيع إيقافه، أو تحويل مساره إذا تم إطلاقه.

باقة من نشاطات
مكتب المفتي العام
ودوائر الإفتاء في محافظات الوطن

إعداد: أ. مصطفى أعرج / مدير عام مكتب المفتي العام

المفتي العام يشارك في مؤتمر "تواصل وتكامل" ويلتقي السفير السعودي في الأردن

مكة المكرمة: شارك سماحة الشيخ/ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية - خطيب المسجد الأقصى المبارك - في أعمال المؤتمر الدولي الذي عقدته وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، تحت عنوان: "تواصل وتكامل".

وأشاد سماحته بهذا المؤتمر، الذي يأتي برسالة سلام للحد من الكراهية والعنف بين الشعوب، والتقى على هامشه معالي الشيخ الدكتور عبد اللطيف بن عبد العزيز آل الشيخ - وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، وبكثير من الشخصيات

الرسمية والشعبية والدينية المشاركة فيه، وأطلعهم على الأوضاع الصعبة التي يعاني منها الشعب الفلسطيني ومقدساته في ظل هجمة الاحتلال الشرسة ضد الإنسان الفلسطيني وأرضه ومقدساته، مطالباً بضرورة التدخل لوقف هذه الاعتداءات على الشعب الفلسطيني ومقدساته، قبل فوات الأوان.

من جانب آخر؛ التقى سماحته سعادة السفير نايف بن بندر السديري، سفير خادم الحرمين الشريفين في المملكة الأردنية الهاشمية، وأطلعه على أوضاع مدينة القدس المحتلة، والانتهاكات التي تقوم بها سلطات الاحتلال ضد المقدسات الفلسطينية، وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك، مشيداً بالعلاقات الأخوية الوطيدة التي تجمع الشعبين الفلسطيني والسعودي، وبما تقدمه المملكة العربية السعودية ملكاً وحكومةً وشعباً للقضية الفلسطينية.

المفتي العام يشارك في الندوة العلمية الدولية: "ضوابط الفتوى الشرعية في السياق الإفريقي"

مراكش: شارك سماحة الشيخ محمد أحمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك، في أعمال الندوة العلمية الدولية التي عقدتها مؤسسة محمد السادس للعلماء

الأفارقة، بعنوان: (ضوابط الفتوى الشرعية في السياق الإفريقي)، وقدم سماحته ورقة عمل بعنوان: (جهود علماء فلسطين في مجال الفتوى الشرعية) تناول فيها جهود علماء فلسطين في الفتاوى الشرعية التي تخص الواقع الفلسطيني، وتناول أربع فتاوى بارزة صدرت في فلسطين، وهي: فتوى تحريم بيع الأرض لليهود، وفتوى تلقيح زوجة الأسير من نطف محررة، وفتوى الإضراب عن الطعام للأسرى، وفتوى حكم زيارة القدس والمسجد الأقصى تحت الاحتلال.

وأثنى سماحته على الجهود التي تبذلها مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، لتوحيد جهود العلماء الأفارقة، وجمع كلمتهم على ما يحفظ الدين من انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وعلى ما يجعل قيمه السمحة في خدمة الاستقرار والتنمية في بلدانهم.

والتقى سماحته على هامش الندوة شخصيات رسمية وشعبية من المشاركين في أعمالها، وأطلعهم على الانتهاكات والاعتداءات التي تمارسها سلطات الاحتلال ضد الشعب الفلسطيني ومقدساته، داعياً الأمتين العربية والإسلامية إلى القيام بواجبها تجاه القضية الفلسطينية، وحماية المقدسات، وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك.

المفتي العام يتضامن مع أهالي ترمسعيا

ويؤدي واجب العزاء بالشهيد عمر جبارة

القدس: قام سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية – خطيب المسجد الأقصى المبارك، على رأس وفد من دار الإفتاء الفلسطينية بزيارة تضامنية مع أهالي ترمسعيا، الذين تعرضوا إلى عدوان من المستوطنين وإرهابهم بحماية من سلطات الاحتلال، وقد أدان سماحته هذا الاعتداء، واعتداء المستوطنين المتطرفين على المدنيين الفلسطينيين، وقيامهم بحرق المصاحف والمساجد في عوريف، مبيناً أن هذه الاعتداءات الهمجية جرائم حرب يجب أن يحاكم فاعلوها أمام المحاكم الدولية، وطالب العالم أجمع باتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية أبناء شعبنا، مبيناً أن عبارات الشجب والاستنكار لم تعد كافية لوقف

التطهير العرقي الذي تقوم به سلطات الاحتلال ضد الشعب الفلسطيني.

وقدم سماحته واجب العزاء بالشهيد عمر جبارة من قرية ترمسعيا، ونوه في كلمة ألقاها بمكانة الشهداء عند الله سبحانه وتعالى، مشيداً بالشهيد جبارة، الذي قضى نحبه منافحاً عن ثرى وطنه ومبادئه وشعبه، سائلاً الله أن يتقبل شهداءنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، وأن يلهم أهلهم وذويهم الصبر والسلوان وتمنى الشفاء العاجل للجرحى، والفرج القريب لأسرانا البواسل، الذين ينافحون من أجل حريتهم، ونيل شعبهم حقوقه المشروعة.

المفتي العام يزور مؤسسة سيدة الأرض

رام الله: زار سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية- خطيب المسجد الأقصى المبارك، مؤسسة سيدة الأرض في رام الله، حيث كان في استقباله الدكتور كمال الحسيني – الرئيس التنفيذي للمؤسسة، الذي أطلع سماحته على سير عمل المؤسسة وخططها الطموحة في توثيق القضية الفلسطينية ورفدها بالمنابع الإبداعية والصداقات المؤازرة الداعمة لحقوق الشعب الفلسطيني في الاستقلال والتحرير، وأعرب سماحته عن تقديره للدور الوطني الذي تقوم به مؤسسة سيدة الأرض خلال مسيرتها الزاخرة بالجوانب الإبداعية

الوطنية، مؤكداً على دعمه لتلك المسيرة الوطنية المشرفة، التي تواصل نهجها الإبداعي في تأريخ وبناء الصورة الفلسطينية في المحافل الدولية، كما اطلع سماحته على أنشطة المؤسسة وخططها الطموحة التي تسعى من خلالها إلى بناء وحشد ذاكرة وطنية عابرة للحدود والقيود، قادرة على استعادة الصورة المفعمة للتاريخ الفلسطيني النضالي، ورفدها بالأدوات والإمكانات التي تجعلها تتميز بالفرادة والخروج من النمطية، وقد أشاد الدكتور كمال بهذه الزيارة، متطلعاً إلى مزيد من التعاون لما فيه مصلحة الوطن والمواطن.

المفتي العام يشارك في دورة الإرشاد الديني في معسكر قوات الأمن الوطني

النويعمة: شارك سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية - خطيب المسجد الأقصى المبارك، في دورة الإرشاد الديني المنعقدة في معسكر قوات الأمن الوطني، في النويعمة، بحضور العقيد غالب الأشقر، وألقى سماحته محاضرة بعنوان: "أخلاقيات الداعية" تحدث فيها عن الدعوة إلى الله تعالى، مبيناً أنها رسالة عظيمة وشرف كبير، اختص الله به من شاء من عباده، الذين حملوا شرف هذه المهمة، وتطرق إلى الأخلاق

التي يجب أن يتصف بها الداعية، ومنها الصدق، والإخلاص، والصبر، والعفة، والتفاني في العمل، وإظهار الحب للناس، مؤكداً على ضرورة أن يتصف الداعية بعلو الهمة، فهذا دأب رجال الدعوة إلى الله تعالى في كل زمان ومكان، فالداعية يستعين بالله عز وجل، ولا يكلُّ ولا يملُّ، وقد أشاد العقيد الأشقر بهذه الزيارة، متطلعاً إلى دوام التعاون بين دار الإفتاء الفلسطينية وقوات الأمن الوطني.

المفتي العام يترأس الجلسة التاسعة عشرة بعد المائتين لمجلس الإفتاء الأعلى

القدس: ترأس سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية- رئيس مجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين، الجلسة التاسعة عشرة بعد المائتين لمجلس الإفتاء الأعلى، بحضور أصحاب الفضيلة أعضاء المجلس من محافظات الوطن كافة، وأدان المجلس جريمة حرق المصحف الشريف وتمزيقه في الدنمارك والسويد، مؤكداً على أن هذه الإساءة المقيتة والبغيضة تُحرِّض على الكراهية الدينية وتعبر عن خطاب عنصري ضد الإسلام من شأنه تأجيج مشاعر الكراهية والعنف، وتدفع إلى حالة من الفوضى والاحتقان بين الناس، مطالباً بوضع حد لمثل هذه الاعتداءات الرعناء التي

تطال أبرز مقدسات المسلمين، كما أدان المجلس قيام سلطات الاحتلال بتهجير عائلة "صب لبن" وترحيلها من منزلها بالقدس، وتسليمه للمتطرفين المستوطنين، مؤكداً على أن هذا العدوان يهدف إلى تفريغ القدس من سكانها الأصليين، كما أدان المجلس هجمات المتطرفين المستوطنين ضد المواطنين الفلسطينيين وممتلكاتهم، مؤكداً على أن الشعب الفلسطيني سيبقى صامداً في أرضه، مهما بلغت التضحيات.

من جانب آخر؛ دعا المجلس الفصائل والأحزاب جميعها إلى رصِّ الصفوف، والوحدة في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي الذي يمعن في تهديد البشر والحجر دون أي حساب، مؤكداً على أن وحدة شعبنا هي السبيل الوحيد لمواجهة هذا العدوان وغطرسته.

مفتي محافظة نابلس يشارك في مؤتمر علمي، ونشاطات أخرى

نابلس: شارك فضيلة الشيخ الدكتور أحمد شوباش – مفتي محافظة نابلس- في مؤتمر: "قضايا معاصرة في ضوء المنهج الوسطي في القرآن" نظمته كلية الشريعة في جامعة النجاح الوطنية، بالشراكة مع أكاديمية الصفاء للخدمات القرآنية، وترأس فضيلته الجلسة الثانية للمؤتمر، وشارك في ورشة عمل عقدتها جمعية حماية المستهلك في رام الله، وكذلك في حفل إطلاق كتاب الأسير فهد صوالحي، الذي يحمل اسم: "النذير"، وفي حفل إشهار ديوان الشاعر لطفي مسلم، بعنوان: "قلب مصاب بالحكمة" وكذلك شارك في وقفة مساندة لاسترداد جثامين الشهداء، وكذلك في حفل تكريم رئيس وأعضاء غرفة تجارة وصناعة نابلس، الدورة السابقة، وقدم لهم درعاً تكريمياً على جهودهم في خدمة الوطن والمواطن، وألقى محاضرة دينية في المخيم الصيفي "مخيم الشهيد ناصر أبو حميد" وكان فضيلته قد ألقى العديد من خطب الجمعة والدروس الدينية في عدد من مساجد المحافظة، تناول فيها كثيراً من الموضوعات التي تهم المواطنين في حياتهم الدينية والدنيوية، كما شارك في حل كثيرٍ من الخلافات والنزاعات العائلية والعشائرية، حفاظاً على الأمن والسلم الأهلي، وشارك في كثيرٍ من البرامج الإعلامية، أجاب فيها عن كثير من الموضوعات المختلفة التي تعالج مختلف جوانب الحياة.

مفتي محافظة بيت لحم يزور مخيم جنين

ويشارك في نشاطات أخرى

بيت لحم: زار فضيلة الشيخ عبد المجيد العمارنة – مفتي محافظة بيت لحم- مخيم جنين، والتقى مع اللجان الشعبية في المخيم، وذلك تضامناً مع سكانه بعد التدمير الذي قامت به سلطات الاحتلال للمخيم، وحضر فضيلته حفل تخريج الفوج السابع والأربعين لطلبة جامعة بيت لحم، وحفل تخريج الفوج الثالث عشر من طلبة جامعة فلسطين الأهلية في بيت لحم، وشارك في اجتماع القوى والمؤسسات الوطنية في المحافظة، التي تعنى بالأسرى، وحضر اجتماع المجلس التنفيذي للمحافظة، وشارك في حفل افتتاح مركز الدفاع المدني في حوسان "الريف الغربي" واستقبل وفداً برازيلياً في جامع عمر بن الخطاب في بيت لحم، وقدم درساً بعنوان: "التعريف بالإسلام والحياة في بيت لحم تحت الاحتلال" وكان فضيلته قد شارك في حل كثيرٍ من الخلافات والنزاعات العائلية والعشائرية، حفاظاً على الأمن والسلم الأهليين، وألقى كثيراً من الدروس الدينية التي تعالج مختلف جوانب الحياة، وشارك في كثيرٍ من البرامج الإعلامية، عالج فيها مختلف جوانب الحياة.

مفتي محافظة جنين يشارك في استقبال سيادة الرئيس لمحافظة جنين ويشارك في نشاطات أخرى

جنين: شارك فضيلة الشيخ محمد أبو الرب – مفتي محافظة جنين- في مراسم استقبال سيادة الرئيس الفلسطيني محمود عباس "أبو مازن" حفظه الله لمحافظة جنين- وذلك عقب العدوان الذي قامت به سلطات الاحتلال ضد مدينة جنين ومخيمها، وشارك في افتتاح مركز الطوارئ الجديد في مستشفى جنين الحكومي، وفي حفل تكريم اللواء المهندس محمد الأعرج، قائد منطقة جنين السابق، المحال إلى التقاعد، وألقى كثيراً من الدروس الدينية وخطب الجمعة في عدد من مساجد المحافظة، تطرق فيها إلى كثير من الموضوعات التي تهم المواطنين، وشارك في حل كثيرٍ من النزاعات والخلافات العائلية والعشائرية بما يضمن الأمن والسلم المجتمعي، وشارك في كثيرٍ من البرامج الإعلامية ، أجاب فيها عن أسئلة المواطنين بالخصوص.

مسابقة العدد 168

السؤال الأول: ما...؟

1. جواب النبي، صلى الله عليه وسلم، لما سئل عن صوم الاثنين.
2. رأي مجمع الفقه الإسلامي الدولي في حكم التورق المصرفي المنظم والتورق العكسي.
3. المباح للرجل من الفضة في المذهب المالكي.
4. حكم بيع العينة عند الجمهور.
5. اسم قرية الشهيد عمر جبارة.
6. **معنى:**

أ. (الشطأ) في قوله تعالى: {كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ}(الفتح: 29) حسب رأي ابن الأعرابي

ب. (قلى) في قوله تعالى: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}(الضحى: 3)

ت. التحنث، الوارد ذكره في قول عائشة: (فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ)

السؤال الثاني: من...؟

1. المخاطبان في قوله، صلى الله عليه وسلم: (يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا).
2. الذي قال للنبي، صلى الله عليه وسلم، عن الوحي جبريل: (هذا الناموس الذي أنزل على موسى).
3. الذي قال له النبي، صلى الله عليه وسلم: (إنك ضعيف، وإنها أمانة).
4. الأسير صاحب كتاب "النذير".
5. **القائل:**

أ. ولرب نازلة يضيق بها الفتى

ذرعاً وعند الله منها المخرج

ب. رسول أتانا بالضياء والهدى

رحيم بنا للخير والحق أرشدا

ت. بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

متيم إثرها لم يفد مكبول

ث. فالقدس تصرخ أين هم جند الفدا

يحمون بيتاً داسه الطغيان

السؤال الثالث: نعم أو لا...؟

1. لفظ "علماً" معرفاً في حديث: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً).
2. قال النبي، صلى الله عليه وسلم، عن الأشعريين: (فهم مني، وأنا منهم).
3. اصطفى الله كنانة من ولد إسماعيل، عليه السلام.
4. قال أحمد شوقي: ولد الهدى فالكائنات ضياء

وفم الزمان تبسم وثناء

5. النبي، صلى الله عليه وسلم، دعوة عيسى، وبشارة إبراهيم.
6. المضاهاة هي صنع الصورة المشابهة لصور مخلوقات الله من غير تحد لقدرة الخالق.
7. يقتصر الإنصات المطلوب للقرآن الكريم عند الحنفية على حال القراءة في الصلاة.
8. يعود تقدير النفقة عند الجمهور إلى القاضي والحاكم.
9. تثبت نفقة علاج الأبناء على أبيهم المعسر في ذمته.
10. توفي أبان بن تغلب عام 241هـ.

تنبيه: يمكن استخراج إجابة أسئلة المسابقة من محتويات هذا العدد

جوائز المسابقة

قيمتها الكلية 1500 شيكل

موزعة على ستة فائزين

بالتساوي

ملحوظتان :

- تُرجى كتابة الاسم الثلاثي حسب ما ورد في البطاقة الشخصية (الهوية)، والعنوان البريدي، ورقم الهاتف وكتابة الإجابات بخط واضح .
- ترسل الإجابات إلى العنوان الآتي :

مسابقة الإسراء، العدد **168**

مجلة الإسراء / الإدارة العامة للعلاقات العامة والإعلام

دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 القدس الشريف

ص.ب : 1862 رام الله

إجابة مسابقة العدد 166

السؤال الأول: من.....؟

1. أبو بكر.
2. زكريا.
3. الأم.
4. زهدي حنتولي.
5. محمد سالم الشرقاوي .

السؤال الثاني: كم...؟

1. 144 دونماً.
2. 10 سنوات.
3. 5 أبناء.
4. 950 سنة.
5. اثنان.

السؤال الثالث: ما.....؟

أ. التبعيض.

ب. قال: وكذلك الإيمان، حين تخالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد.

ج. معنى:

1. الراجل: الماشي على رجليه، والضامر: من يركب الفرس أو الناقة وغير ذلك.
2. حبل.
3. سار أول الليل.
4. الزيارة والقصد.
5. بيضاء لم توطأ.
6. الإسراع في المشي.

د. حكم:

1. ركن.
2. يسن.

السؤال الرابع: نعم أو لا.....؟

1. لا.
2. نعم.
3. نعم.
4. نعم.
5. لا .
6. لا.
7. نعم.
8. نعم.
9. نعم.
10. لا.

الفائزون في مسابقة العدد 166

الاسم	العنوان	قيمة الجائزة بالشيكل
أبان سامي برغوثي	رام الله	250
أحمد فرح سمحان	قلقيلية	250
محمود محمد عبد الكريم أبو فرح	طولكرم	250
رجاء عمر أبو شاهين	ضواحي القدس	250
عصام عدنان عزام	غزة	250
نائلة حسن مصطفى أبو عون	غزة	250

ضوابط تنبغي مراعاتها عند الكتابة لمجلة الإسراء

حرصاً على التواصل بين مجلة «الإسراء» وقرائها الكرام، فإننا نتوجه إلى أصحاب الفضيلة العلماء وأصحاب الأقلام من الأدباء والمفكرين أن يثروا مجلتهم بالكتابة، للاستفادة من عطائهم الكريم، آملين أن تصل مشاركاتهم من خلال المقالات والأبحاث والقصائد الشعرية الهادفة، إضافة إلى ملحوظاتهم السديدة، علماً أن موضوعات المجلة متنوعة، تشمل المجالات الدينية والإنسانية والثقافية والعلمية وغيرها، ويخصص لكل موضوع ينشر مكافأة مالية جيدة.

ونلفت الانتباه إلى ضرورة مراعاة قواعد الكتابة وضوابطها، ومنها :

1. طباعة المادة المراد نشرها على الحاسوب، وترسل عبر البريد الإلكتروني، أو باليد.
2. ألا يزيد المقال عن (1500) كلمة، والبحث عن (3000) كلمة.
3. كتابة نصوص الآيات مع تشكيلها، وتوثيق أرقامها.
4. تخريج الأحاديث من مظانها المعتبرة، وأن تكون مشكَّلة، وصحيحة، ويلزم بيان رأي علماء الحديث في مدى صحتها إن لم تكن مروية في صحيحي البخاري ومسلم.
5. التوثيق عند الاقتباس سواء من الإنترنت أم الكتب والمراجع والمصادر الأخرى.
6. عمل هوامش ختامية أو حواش سفلية، تشمل المعاني والتوثيق ... إلخ.

مع التنبيه إلى ضرورة تجنب إرسال مقالات أو أبحاث سبق نشرها، سواء في مجلة الإسراء أو غيرها، إضافة إلى الامتناع عن إرسال مقالات منسوخة عن مجلات أو مواقع إلكترونية

نستقبل المراسلات على العنوان الآتي :

القدس: مجلة الإسراء / فاكس: 6262495 ص.ب: 20517

الرام : تلفاكس: 2348603 ص.ب 1862

E.mail : info@darifta.ps - israa@darifta.ps